چومانا

(الحلم)

اســـم الكتـــاب: چومانـــــا (الحلـــــم)

التـأليـــــــف: محمـــود حســـن دســـوقي

نـــوع العمـــل: روايــــــــــــــة

تـدقيق وإخـراج فنـي: سالم عبد المعـز (عمـرو سـواح)

رقـــم الإيـــداع: 2021 / 7578

الترقـــيم الـــدولي: 3-244-835-977-978

النـــــــــاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر



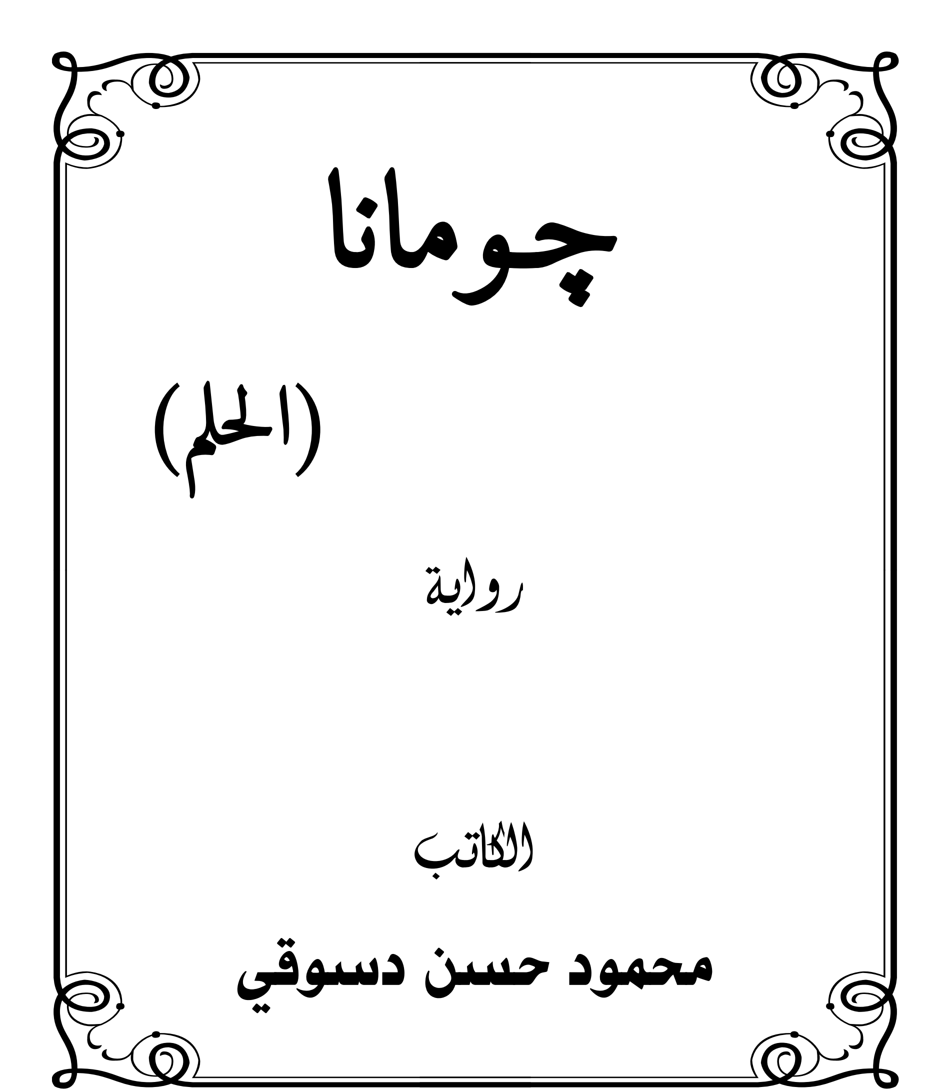
Facebook دار زحمة كتاب للنشر

Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595





چومانا

(الحلم)

رواية

الكاتب

محمود حسن دسوقي

دون مقدمة

دون تمهيد

دون تعريف

فقط أحضر قهوتك واستمتع بالقراءة.

الفصل الأول

الأربعاء – السادس عشر من إبريل
مدينة قليوب – مصر
الساعة الخامسة والنصف صباحًا

انتفض (خالد) من كرسيه على صراخ أخته فاطمة من حوش المنزل. خرج مسرعًا نحو مصدر الصوت. لوهلةٍ توهم أن غطاء غرفة المجاري الخرساني يتحرك ويعود ليُغلق فتحة الصرف أو ما يقال عنه "الطرنش"، والذي كان يستخدم في الماضي لتخزين الصرف الصحي حتى تأتي سيارات النزح وتسحبه قبل دخول شبكة الصرف الصحي للمنازل.

أخذ ينادي على أخته وهو يرهف سمعه ليحدد من أين جاء صراخها. عوضًا عن ذلك سمع صوتًا مكتومًا وكأنه صادرٌ من "الطرنش". اندفع وأمسك الحلقة الحديدية الصدئة المستخدمة لرفع الغطاء. ضغط على أسنانه وبكل عزمه شد الحلقة لأعلى حتى كادت عضلات ذراعه تشق جلده. لم يستجب الغطاء في البداية إلا أنه لم يستسلم. كادت الرائحة تدفع كل ما في معدته للخارج ولكنه أجبر نفسه على التغلب على اشمئزازه.

كان عمق الطرنش يزيد قليلًا عن مترين ومساحته لا تتعدى عشرة أمتار مربعة، انبطح خالد أرضًا وأنزل رأسه في الطرنش فرأى جزءًا في أرضيته مفتوحًا

لأسفل وسمع صدى صرخات تأتي منه. وقف ليلتقط أنفاسه بعد أن كادت الرائحة العفنة أن تقتله، ودون ترددٍ جلس وأنزل رجليه وقفز إلى داخل الطرنش واضعًا يده على أنفه.

تحرك خالد ببطءٍ نحو الجزء المكسور من أرضية الطرنش ليجد أنها حفرة أخرى بعمق أكثر من خمسة أمتار. نظر داخل هذه الحفرة فلم يرَ آخرها. فكر في العودة إلى بيته والاتصال بالشرطة ولكن صدى صوت صرخةٍ مكتومةٍ ألغت الفكرة من رأسه وجعلته يبدأ في الهبوط إلى أسفل حتى لامست قدماه الأرض. كان النزول سهلًا نسبيًّا فأيًّا كان من صنع هذه الحفرة قد استخدم الحوائط للصعود والنزول.

وجد خالد نفسه في ممرٍّ ارتفاعه متر ونصف وطوله عشرة أمتارٍ تقريبًا وفي نهايته حفرةٌ أخرى. مشى نحوها ببطءٍ وظهره منحنٍ متحسسًا موضع قدمه وواضعًا يده على الحائط متهيئًا لما لا يعرف كنهه.

كان الحائط باردًا قليلًا والرائحة مثل أتوبيس مزدحم.

نزل خالد تلك الحفرة وهو يتحسس موضع أقدامه. وصل إلى أرضٍ ثانيةٍ ولمرةٍ أخرى وجد أمامه دهليز ولكنه أكثر ارتفاعًا ومنحدرٌ بصورةٍ كبيرةٍ كما أن هناك كثيرًا من التفريعات.

وقف خالد ليدرس المكان قليلًا.

كانت الحوائط الصخرية لزجة بعض الشيء. اختفت كل الأصوات من فوق الأرض فلا يصل إلى أذنه إلا صوت أنفاسه وقرع دقات قلبه.

كان السكون قاتمًا حتى إنه شعر بحركة عضلات جسده. حرك خالد يده على الحائط متلمسًا آثار التكسير عليها، ثم بدأ يتحرك دون إصدار صوتٍ عدا

صوت خرفشة الصخور تحت قدميه حتى وصل إلى أول ممر جانبي.

لم يكن ممرًّا بالمعنى المعروف بل أخدودًا في الحائط فقط.

تركه خالد ثم تحرك للتالي والذي بعده وهكذا دواليك. كانت كلها على نفس الشاكلة ولكن بأطوال مختلفة، بعضها طوله متر أو اثنان فقط والبعض الآخر بعمق يزيد عن عشرة أمتار.

استمر خالد في التحرك حتى نهاية الدهليز الذي انحرف إلى اليسار قليلًا. تلاشى الضوء الذي كان ينساب من فتحة الطرنش تمامًا ولكن كان هناك إضاءةٌ ضعيفةٌ تأتي من مكانٍ ما.

أغمض خالد عينيه لمدة حتى تتعود على الظلام وحين فتحهما وجد نفسه يستطيع الإبصار بصورةٍ بسيطةٍ. استمر في التحرك متعمقًا داخل ذلك الدهليز والذي كان يضيق أحيانا ليصل إلى نصف متر ويتسع أحيانًا أخرى ليصل إلى ثلاثة أمتار وقد بدا طبيعيًّا دون أي آثار تكسير. كان الكثير من تلك التفريعات ينتهي بحائط وكأنه في متاهة فيضطر للرجوع إلى آخر مكانٍ توقف عنده ليبدأ من جديد.

على الرغم من تعبه، فلم يتوقف خالد حتى رأى بصيصًا من النور مع صوت همهمات يأتيان من بعيد. اقترب ببطء حتى استطاع تمييز ما يشبه القاعة بآخر الممر.

ظل خالد قابعًا في مكانه داخل الممر محاولًا استيعاب المكان الجديد والتقاط أنفاسه لبعض الوقت. التصق بالجدار متسللًا ببطءٍ كالقط. كانت الغرفة مضاءةً بطريقةٍ جيدةٍ نوعًا ما إلا أن الرائحة المنبعثة كانت تشبه خليطًا من كل البهارات وسط سوق خضار.

ما إن اقترب خالد من القاعة حتى صرخ شيءٌ ما يشبه الإنسان من جهة اليمين ولكنه شديد البياض.

في اللحظة التالية لصراخ هذا الشيء، قفز خالد خارجًا من الممر نحو مصدر الصوت، وأثناء انقضاضه لمح خالد أخته ملقاةً على الأرض والدم يغطي وجهها وملابسها بالكامل.

غلى الدم في عروقه فَلَكم الشخص الواقف أمامه لكمةً أطاحت به فارتطم بالجدار ليقع بجانب أخته فاطمة دون حراك.

التفت خالد فوجد أن القاعة بمساحة مائة متر تقريبًا وبها تسعة آخرون من تلك الكائنات ممسكين بسيوفٍ قصيرةٍ بَلْطات ويهجمون جميعًا في نفس اللحظة إلا واحدة وقفت بعيدًا ترتعد مما تراه.

كان يبدو أنها أنثى فهي لا تتمتع بنفس البناء الجسدي للآخرين.

هاجمه الأول بشيءٍ يشبه السكين فتفاداه خالد بسهولةٍ كما تعلم في صغره وكما تدرب في قوات الصاعقة أثناء خدمته الإجبارية بالجيش. أمسك يده وبحركة بسيطة أجبره على إفلات السكين، فالتقطه خالد قبل أن يلمس الأرض وبضربةٍ واحدةٍ شطر حنجرة المقاتل الأول الذي أطلق حشرجة محاولًا إيقاف تدفق الدم دون جدوى.

وقف خالد ممسكًا بالسكين مبعدًا بين قدميه وهو يدرس هجوم الباقين عليه، كانوا جميعًا يرتدون ملابسَ وكأنهم في مشهدٍ حربيٍّ من فيلم تاريخي إلا الأنثى وشخصًا آخر بجانبها يرتديان ملابس بيضاء ممزقة تشبه الجلاليب. بينما خالد يرتدي بنطلونًا "جينزًا" وتي شيرت أزرق.

لم يتوقف باقي المقاتلين وهاجمه المقاتل الثاني ببلطة فقفز خالد جانبًا وتدحرج ليجد نفسه بجانب أقدام المقاتل الثالث، فضربه بقدمه اليمني فأخل توازنه وقبل أن يقع على الأرض كان خالد قد قفز واقفًا وبحركة دائرية كان قد قطع عنق المقاتل الثاني ليلحق بالأول. قبل أن يعي الآخرون ما حدث كان خالد قد أطلق السكين ليستقر في صدر صاحب البلطة.

أسقط المقاتل البلطة ووقف يمسك الخنجر فتوقف باقي المقاتلين وهم ينظرون إلى صاحب البلطة الذي يبدو أنه قائدهم. لم يتوقف خالد واستغل تشتتهم اللحظي فانقض على أقرب المقاتلين إليه، وبحركةٍ صغيرةٍ من حركات الدفاع عن النفس كان قد كسر أنفه فوقع على الأرض فاقدًا للوعي.

بقي في الغرفة خمسة من هذه المخلوقات بجانب الأنثى الواقفة بعيدًا والتي بدا على ملامحها الرعب. تردَّد باقي المقاتلين لبعض الوقت قبل أن يحسم أحدهما أمره وانقض على خالد الذي قفز جانبًا ثم قام بالدوران حول نفسه وضرب المقاتل في ظهره فاختل توازنه ووقع على وجهه قريبًا من البلطة. حاول أن يلتقط هذا المقاتل البلطة إلا أن "خالد" كان أسرع منه، فقفز على ظهره وأمسك رأسه بين راحتي يده وبحركة خاطفة انطلقت صوت قرقعة من رقبة المقاتل وارتخت جميع أعضائه.

قفز خالد واقفًا مواجهًا الباقين. هجم ثلاثة منهم فتفادى خالد هجوم الأول وأمسك بالثاني وكسر ذراعه فأجبره على إفلات سيفه.

أخذ خالد السيف وقتل به ذلك المقاتل ثم صد ضربة من سيف مقاتلٍ آخر وهو يضربه بقدمه في صدره ويواجه الأخير الذي لم يشعر إلا ويده تطير ممسكة بالسيف تتبعها رأسه وبسرعة هجم خالد على المقاتل الواقع على

الأرض وأجهز عليه قبل أن يستعيد توازنه.

التفت خالد ليواجه آخر اثنين في الغرفة، فتقدم المقاتل الأخير والمرافق للأنثى وهو يرتعد ليقف بين خالد وبينها.

قالت الأنثى وهي ترتعد وبلغةٍ عربيةٍ مكسرةٍ: "تقاتل لا"، ثم قالت شيئًا للمقاتل الأخير بلغة لم يفهمها خالد.

قطب خالد حاجبيه وهو ممسكٌ بالسيف قائلًا:

- من أنتم أو ماذا أنتم؟

قالت الأنثى: القتال لا نريد... أنت الرحيل يمكنك.

نظر خالد إلى الأنثى للحظات ثم هرع نحو أخته دون أن يخفض عينيه عن تلك المخلوقات.

كانت أخته لا تزال تتنفس ولكن بدا أن هذه المخلوقات قد أجبروها على المشي معهم عن طريق جرحها في أماكن متعددة من جسدها دون قتلها فبِركة الدماء حولها تشي بكمية الجراح تحت ملابسها.

غلى الدم في عروق خالد، واستدار لينظر إلى الاثنين ثانية عاقدًا العزم على قتلهما، إلا أن شيئًا ما في الأنثى الواقفة هناك جعله يتراجع عما نواه.

وضع خالد يده على شعر أخته وهو ينظر إلى وجهها وحركة تنفسها حتى اطمأن على انتظامه، ثم قام لمواجهة تلك المخلوقات مرة ثانية.

نظر إليهما خالد نظرة بها من التهديد ما يزلزل أشد الرجال بأسًا:

- من أنتما؟

تقدمت الأنثى لتقف بجوار المقاتل الأخير:

- أوبجازيون نحن.

حاول خالد أن يجد مرادفًا لهذه الكلمة بالعربية ولكن دون جدوي فقال:

- ما معنى ذلك؟

كررت الأنثى إجابتها:

- أوبجازيون.

قال خالد وهو يحاول استخراج أي معلومة أخرى:

- لماذا حاولتم قتلها؟

قالت الأنثى:

- قتل لا.

ظل خالد صامتًا وهو يفكر في تركهما والعودة بأخته إلى بيتهما والذهاب بها إلى أي مستشفى، ولكن لون ملابسها الذي تحول إلى الأحمر القاني وكمية الدماء حولها لغيا الفكرة من رأسه، وخاصةً أنه لا يعرف طريق العودة مع كثرة المتاهات والطرق المسدودة وحتى لو أجبر هذه الكائنات على إرشاده فلن يستطيع حمل أخته وتسلق الجدران بها.

- "أين أغراضكما؟".

قالها خالد مفكرًا أنه ربما يجد شيئًا يساعد على وقف تدفق الدم من أخته.

قالت الأنثى وهي تشير إلى ممرٍّ خلفها في الجهة المقابلة للممر الموصل لبيت:

- خالد هناك.

مشى خالد بحذر وعيناه لا تفارقهما ثم أشار بسلاحه أن يبتعدا عن مدخل الممر. تحرك الكائنان (الأوبجازيان) بعيدًا كما أمرهما خالد وعيونهما مثبتتان عليه.

تركهما خالد ودخل ببطء إلى الممر، والذي كان طوله ثلاثين مترًا وبعرض متر ونصف كما قدره بنظره وفي نهايته توجد قاعةٌ أخرى.

تحرك خالد في اتجاه القاعة الجديدة، ثم توقف بعد بضع خطوات ورجع إلى القاعة الأولى، ومن ثم رفع سلاحه في وجه الأوبجازيين قائلًا لهما وهو يشير بسلاحه:

- ادخلا أمامي.

تحرك الأوبجازيان وهما ينظران إلى خالد بريْبة. دخلا النفق كما أمرهما فألقى خالد نظرة أخرى على أخته ثم دخل وراءهما.

لاحظ خالد في أثناء سيره أن مصدر الإضاءة هو الصخور نفسها أو بالأحرى شيء ما عليها. لمسها بيده اليسرى ثم قلب شفتيه عندما وجده لزج الملمس. مسح يده بملابسه ثم أعاد تركيزه على الاثنين السائرين أمامه.

كانت القاعة الجديدة أقل حجمًا من القاعة الأخرى، وبها عربتان مثل التي تجرهما الخيول أو الحمير ولكنهما أقل عرضًا وأطول قليلًا، ويجر كل عربة كائن لا يشبه أي من الكائنات الحية التي رآها خالد من قبل ولا حتى في حديقة الحيوانات بالجيزة. كان الكائن بحجم ما بين الحمار والحصان، دون أي شيء يغطي جلده الأبيض المتسخ، وذا أنفٍ متدلٍ وذيلٍ قصيرٍ وعينين واسعتين وأذنين كبيرتين ومرفوعتين كأذني الحمار.

أمر خالد الأوبجازيين أن يتنحيا جانبًا وانطلق مسرعًا إلى العربة الأقرب، والتي كان بها أوانٍ فخارية تحتوي شيئًا يشبه طعامًا ذا رائحةٍ نفاذةٍ وقربةٍ قذرةٍ بها شيءٌ سائلٌ، توقع خالد أن يكون ماءً.

أخذ خالد يقلب الأواني ويتفحص محتوياتها ولكنه لم يجد شيئًا يمكن استخدامه لتضميد جراح أخته، فنظر إلى الاثنين الموجودين معه ثم قال:

- لا شيء مفيد في هذه القمامة.

قالت الأنثى:

- دواء موجود.

عقد خالد حاجبيه قائلًا:

- أين؟

تقدمت الأنثى بثباتٍ نحو العربة، فتبعها المقاتل الآخر ولكنها أشارت إليه بالتوقف ثم أكملت وفتحت إحدى الأواني فقال خالد بصوتٍ خشنٍ وهو ما زال ممسكًا بالسيف:

- لو حاولتِ فعل شيء سأقتلك.

نظرت إليه الأنثى وضمت شفتيها ثم أخرجت مقدار قبضة من بودرة بنية اللون ومدت يدها لخالد قائلة:

- هذا.

خالد: كيف سيساعدنا هذا؟

الأنثى: دواء.

ثم أغلقت قبضتها وأخذت الإناء بكل البودرة بداخله وبدأت تمشي راجعةً إلى البهو الأول الراقدة به فاطمة وبجانبها الشخص الأوبجازي الآخر. وخالد خلفهما مباشرةً ممسكًا بسلاحه.

تقدمت الأنثى نحو فاطمة وكشفت عن بطنها، ثم بدأت بوضع البودرة فوق كل الجروح وتحركها ببطء لتتأكد من دخول تلك البودرة داخل جميع

الجروح، بدأ جسد فاطمة ينتفض بقوة والأنثى تكمل وضع البودرة على باقي الجروح.

رأى خالد الواقف بجانب الأنثى مباشرةً انتفاض جسد أخته:

- ماذا تفعلين؟

الأنثى: دواء.

هدأت حركة فاطمة بعد قليل ولكن حبات العرق بدأت تتدحرج على جبهتها، فغطت الأنثى بطنها وقلبتها على وجهها وفعلت الشيء نفسه بالجروح على ظهرها وكتفيها وأقدامها.

لاحظ خالد أن الشخص الآخر يحدق إلى جسد فاطمة المتعري فقال بغضبٍ وهو يشيح بسلاحه:

- انظر بعيدًا.

ترجمت الأنثى ما قاله خالد فقام الآخر بتحويل نظره ولكنه لم يبتعد عن زميلته.

انتهت الأنثى من تغطية جروح فاطمة بالكامل بالبودرة البنية ثم قالت وهي تقف:

- الحكماء يعالجونها.

ثم أشارت إلى الممر الموجود بآخره عربة أغراضهم.

ظل خالد واقفًا وهو يدير الأمر في رأسه وأخته ممددة أمامه. إنه لا يريد أن يخاطر ويرجع بها إلى بيتهما فهو لا يضمن وصولها إلى البيت سالمةً مع كمية الدم التي فقدتها وأيضًا هو لا يعلم ما تلك المادة التي وضعتها الأنثى على جروح أخته، وفي الجهة الأخرى هو لا يضمن هؤلاء الأشياء أو الأشخاص وأيضًا لا

يعقل أن يختفيا هكذا ويتركا أمهما بمفردها.

ظل يفكر لوقتٍ طويلٍ وهو يعلم أنه سيلعن نفسه ألف مرة لو اتخذ القرار الخاطئ وهو أيضًا لا يملك رفاهية عدم اتخاذ أي قرار. ظل يفكر ويفكر حتى قال في النهاية:

- أين هؤلاء الحكماء؟

الأنثى: نصف يوم.... نصل الحكماء.

خالد: سنذهب معكم ولكن أقسم بالله إن تلاعبتم أو هربتم أو لم تعالجوها لأعذبكم عذابًا تتمنوا الموت معه مليون مرة.

نظرت إليه الأنثى بعيونٍ خاوية ثم قالت:

- لنذهب.

ثم التفتت للشخص الآخر قائلةً شيئًا ما بلغتهما.

بدأ الشخص الآخر بتفحص المقاتلين الراقدين على الأرض الذين فقدوا وعيهم فقط في القتال مع خالد، ثم أخذ أحد الأسلحة الملقاة وقتلهم واحدًا تلو الآخر ثم مر عليهم مرة أخرى حتى تأكد من أنهم فارقوا الحياة.

تابعه خالد باستغراب محاولًا أن يستوعب لماذا فعل هذا مع زملائه، ولكنه ترك الموضوع جانبًا حينما لم يجد تفسيرًا مقنعًا.

تقدمت الأنثى ومرافقها وخلفهما خالد حاملًا أخته بين ذراعيه وممسكًا سيفه بيده اليمني، حتى وصلوا إلى البهو الموجود بها عربات أغراضهم.

تحرك خالد إلى إحداها وعيناه لا تفارقان الشخصين الآخرين وهو يدرس كيفية التحرك إذا حاولا مهاجمته أثناء حمله لأخته.

وصل خالد إلى العربة الأقرب فجاءت الأنثى ورتبت الأغراض فوق العربة لتجهيز مكانٍ لوضع فاطمة بها، ومن ثم وضع خالد جسد أخته برفق.

قالت الأنثى وهي تشير إلى نفسها:

- چومانا لاڤون.

خالد: ماذا تعنين؟

الأنثى: اسمي.... چومانا لاڤون.

ثم أضافت وهي تشير إلى الشخص الآخر معها:

- أخي... أخي هذا.... براحت لاڤون... اسمه.

قال خالد: من أين أنتما؟

قالت چومانا: أوبجازيين... نحن... مدينة ساندرون.

قال خالد: أنا لا أفهم عما تتحدثين.... هذا لا يهم حاليًا، المهم هو إنقاذها

نظرت چومانا ناحية العربة الراقدة بها فاطمة:

- أنت... حب.... كثيرًا.

قال خالد متجاهلًا تعليقها:

- انطلقوا أمامنا وسنمضي خلفكما.

وقفت چومانا وأخوها براحت يعيدان ترتيب الأغراض على عربتهم لفترةٍ قليلةٍ ثم قالت لخالد وهي تشير إلى القاعة الأخرى:

- أسلحة... لا نتركها.

قال خالد وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين:

- سيبقى أخوكِ هذا هنا واذهبي لتحضريها.

قالت: "حسنًا".

ثم انطلقت وعادت بعد دقائق وهي تحمل كل الأسلحة المتاحة.

قال خالد: ضعيها على الأرض وسآخذها معي في العربة.

رمت چومانا الأسلحة كما طلب خالد فأصدرت صوتًا معدنيا تردد صداه بين الصخور، ومن ثم ركبت العربة الأولى مع أخيها منتظرةً أن يركب خالد العربة الأخرى.

أخذ خالد الأسلحة ووضعها على العربة بجانب أخته واختار منها سيفًا بقبضة خشبية وأمسكه بدل الآخر. وضع يده على شعر أخته وخلل شعرها بأصابعه وهو ينظر إليها بحنان، ثم ركب العربة وهو يشير إلى چومانا التي بدأت التحرك بهزة صغيرة من الحبل في يديها المربوط حول رأس الحيوان الغريب فتبعه الحيوان الذي يجر عربة خالد.

*****

كانت العربة الخشبية ذات أربع عجلات كالعجلات المرسومة على جدران المعابد الفرعونية القديمة ولكنها لا تحتوي على أي ألوان أو أشكال جمالية، بل بلون الخشب وكأنها تنافس الكهوف قتامة.

لم يكن خالد في حاجةٍ لتوجيه الحيوان فهو يسير خلف العربة الأولى مباشرة ولذلك ربط خالد الحبل في جسم العربة وجعل يتأمل الجدران والتي كانت مضاءة بالأشياء التي تشبه الطحالب وبين الحين والآخر ينظر إلى أخته ليتأكد أنها لا تزال بخير وقد انتظم تنفُّسها وتوقف الارتجاف. كانت ألوان الصخور بكل درجات الرمادي مع بعض الصخور البيضاء والبنية والنحاسية، ولكن الاختلاف في الألوان لم يفد في تخفيف حدة الكآبة في هذا المكان.

كانت العربة الأولى تسير أمامه كصندوق وفوقه خيالان سوداوان يتحدثان أحيانا بلغتهما الغريبة. أما صوت العربة فيوحي بأنها لا تعرف معنى الصيانة. كان كل شيءٍ حولهم يدعو إلى الاكتئاب سواء من السواد المحيط بهم أو الصمت القاتل الذي لا يقطعه إلا صوت العربات.

لاحظ خالد أنه بصورةٍ لا إرادية بدأ يضم شفتيه مع كل نفسٍ ليتحول الهواء الخارج إلى صفير ليقلل من ملل تلك الحوائط. ظل الركب يسير في طريقه لعدة ساعات حتى توقفت العربة الأولى وتوقفت العربة الثانية بالتبعية. نزلت چومانا وأخذت أحد الأوعية واتجهت نحو الحائط أما براحت فبقي مكانه.

أخذ خالد السيف من عربته ومن ثم اقترب من چومانا، كان بعض الماء يتدفق على الحائط، وعلى الأرض بعض النباتات الخضراء التي تشبه نبات الزعتر بأوراقه الصغيرة على الرغم من غياب ضوء الشمس، مع بعض الفطر - أو ما يطلق عليه عيش الغراب- ذي لونٍ بنيٍّ مختلطٍ بأسود.

قطب خالد حاجبيه فعلى حسب معلوماته يجب وصول ضوء الشمس لنمو النباتات ثم قال:

- كيف تنمو النباتات هنا؟

قالت الأنثى: تنمو... مفردها... ماء، ضوء.

أخذت چومانا تنزع بعض النباتات من الأرض، ثم قطعت جذورها ورمتها وغسلت الباقي بالماء، ومن ثم وضعتها على الأرض بجوار وعاء الماء الذي ملأته. جلس أخوها براحت على الأرض بجانبها وعيناه تنظر إلى خالد ثم إلى الطعام.

أشارت چومانا إليه أن يشاركهم: طعام.

قلب خالد عينيه بين الأعشاب وبينها قائلًا: ما هذا؟

قالت الأنثى وحاجباها يعانقان بعضهما:

- طعام.... طعام.... تفهم العربية؟

قال خالد: أفهم طبعًا، ولكن ما هذا الطعام؟

قالت الأنثى اسم الطعام بلغتهم وقد بدأت الأكل مع أخيها ثم أشارت إلى خالد ثانية ليشاركهما.

اقترب خالد بدافع الفضول ثم أخذ أحد هذه النباتات وقربها من عينيه ثم بدأ يشمها فابتسمت الأنثى قائلةً وهي تشير إلى فمها: الفم.... ليس الأنف.

أخذ خالد قضمةً صغيرةً بأسنانه الأمامية، كان هذا النبات ذا طعمٍ لاذعٍ قليلًا لكنه مستساغ ورائحة مثل عشب الملاعب فقال:

- لا، وأسرعوا حتى لا نتأخر.

تركته الأنثى وأكملت طعامها مع أخيها بسرعة وهي منحنيةٌ فوق الطعام وكأنها تخاف أن يخطفه أحد.

قال خالد: أين تعيشون؟

قالت الأنثى: عقلك... غير موجود...ساندرون.

قال خالد: وأين ساندرون هذه؟

قالت الأنثى: سنصل... هنا الطريق.. نصفه.

قال خالد: إذًا أمامنا تقريبًا أربع ساعاتٍ أخرى.

قالت الأنثى بنفس اللغة العربية المكسرة: نعم، أربعة خمسة ستة

تركهما خالد يكملان طعامهما، ثم بدأ في تحريك جسده لبسط عضلاته بعد مدة الجلوس على العربة، كان يمكنه أن يمنعهما من إضاعة الوقت والاستمرار في التحرك ولكنه كان في حاجةٍ لتحريك جسمه بعد الجلوس لهذه

المدة الطويلة. فجأة انقض شيءٌ ما على خالد من أعلى فقفز جانبًا وهو يضرب الشيء الذي هاجمه بسلاحه الذي لم يتركه من يده.

قالت الأنثى بهدوء: طعم سيئ.

نظر خالد إلى الوطواط الذي يضرب الأرض بجناحيه ويتلوى قبل أن يسكن فاقدًا للحياة.

قالت الأنثى: "مقاتل جيد"، ثم أشارت إلى الوطواط وكررت ثانية: طعم سيئ.

لم يرد خالد وذهب إلى أخته وأخذ يبحث في العربة حتى وجد غطاءً فغطى به أخته حتى لا يهاجمها شيء.

لم تمضِ أكثر من دقائق معدودة وقد أنهى كل من چومانا وأخيها براحت طعامه. ركبا عربتهما بعد أن ملأت چومانا جراب المياه الذي بحوزتهم وأخذت بعض الطعام معهم ثم انطلقوا.

بهزةٍ واحدةٍ من يد خالد انطلق الحيوان الذي يجر عربتهما خلف العربة الأولى ليعيد الصوت الرتيب لطرق أرجل الحيوان للأرض مع حشرجة العجلات.

بعد ساعتين من التحرك داخل أنفاق وكهوف خرجت العربتان إلى فضاءٍ واسعٍ، على أحد الجوانب جبلٌ يعلو لأكثر من مائة متر وعلى الجانب الآخر أرضٌ مستويةٌ تمتد مد البصر ومغطاةٌ بنفس الطحالب المضيئة.

كانت الطحالب مضيئة بشدة بلون أصفر حتى إنه لم يستطع أن ينظر نحوها لمدة طويلة، بينما الطحالب في الممر كانت تضيء بلونٍ يميل إلى الأخضر.

كان الجو قد أصبح أكثر حرارة من ذي قبل وكأنه أحد أيام الصيف. أوقفت چومانا العربة فتوقفت العربة الأخرى بالتبعية وهبط سكونٌ تامٌ على

الجميع. قفزت من عربتها وقالت لأخيها شيئًا ما وهي تشير إلى الجبل، ثم أشارت إلى خالد ألا يتحرك وتقدمت لبعض خطوات بعيدًا عن عربتها ووقفت كالتمثال وعينيها تمسح الجبل عن يمينها.

ظلت واقفةً لبضع دقائق وعيناها تتحركان ببطءٍ شديدٍ كالرادار. توقفت وأخذت تحد النظر في اتجاه ما، تعجب خالد من وقوفها ولكنه لم يتكلم. تحركت چومانا بخفةٍ إلى أسفل الجبل ثم قفزت معتلية أول حجر ثم كالفهد قفزت إلى حجرٍ آخر ومنه إلى آخر حتى وصلت إلى ارتفاع عشرة أمتار ومن ثم تعلقت ببعض الأجزاء البارزة من الجبل وظلت تتحرك بموازاة الجبل ثم قفزت على شيءٍ أسفلها مباشرةً.

بعد صراعٍ بسيط، وقفت تشير إلى أخيها بفرحٍ وهي ترفع هذا الشيء بيدها. أطلق الحيوان الصغير الذي اصطادته صرخات استغاثة وهو يحاول التملص من قبضتها.

أخذت چومانا تدق رأس الحيوان الصغير بالصخور حتى خمدت حركته تمامًا فأمسكته بفمها حتى وصلت إلى عربتها. رفعت الحيوان الذي اصطادته باتجاه خالد وقالت بصوتٍ مرتفعٍ وهي تبتسم وحبات العرق تتدحرج على جبينها: طعم لذيذ.

تحرك الركب بعد أن خبأت چومانا وبراحت الحيوان المقتول وسط أمتعتهما، ظلوا يتحركون لمدة ساعتين أخريين والطريق يتحول تارةً ليكون بين جبلين وتارةً بين جبل وما يشبه الصحراء أو يصعد ليكون فوق هضبة تحيط بها الصحراء وهكذا حتى توقفوا في ممر بين جبلين وقفزت چومانا من عربتها وتوجهت إلى خالد قائلة: العربة هنا.

وأشارت إلى عربته ومن ثم إلى جانب الطريق.

قال خالد بشكٍّ وهو يستدير حوله فلا يرى إلا الصخور الصماء:

- هل وصلنا؟

قالت الأنثى: لا.

ثم أشارت إلى عربتها الواقف بجانبها أخوها قائلة: اركب... العربة.

قال خالد وهو يشير إلى عربته: ولماذا لا تركبان هذه العربة؟

قالت چومانا وهي تشير إلى عربته: حراس.

قال خالد:

- أنا لا أفهم لماذا نركب كلنا عربة واحدة، وماذا ستفعلون في هذه العربة؟

قال براحت شيئًا بلغتهم وردت عليه أخته باللغة نفسها ثم استدارت لخالد قائلة:

- عربة... حراس.... ركوب.... لا يمكن.

مط خالد شفتيه ولكنه لم يعترض. حمل أخته فاقدة الوعي ونقلها ببطءٍ إلى العربة الأخرى وهو لا يزال ممسكًا بسلاحه تحسُّبًا لأي حركة غدر قد تصدر من چومانا أو أخيها.

وضع أخته ببطء وأخرج ذراعيه من تحتها وغطاها بنفس الغطاء. في الوقت نفسه كانت چومانا وبراحت ينقلان الأسلحة وبعض الأغراض من العربة الأخرى ويخبآنها في العربة التي سيقودانها.

انطلق الركب بعد أن تأكدوا من أن جميع الأسلحة مخبأة بشكلٍ جيدٍ ولا يمكن كشفها، قادت چومانا وأخوها العربة بينما خالد يجلس بجانب أخته وعيناه تنتقل بين الأوبجازيين تارةً وأخته والطريق والسلاح الذي لم يتركه من

يده تارةً أخرى.

بعد مرور ساعة تقريبًا توقفت چومانا بالعربة والتفتت إلى خالد وأخذت تصنع بعض الإشارات والحركات وكأنها تريد نقل رسالةً ما إلى خالد وهي تقول:

- موت.

قطب خالد حاجبيه وقبض على سلاحه بقوة قائلًا:

- ماذا تعنين؟

أشارت إليه بيدها أن ينتظر ثم أخرجت من العربة سجلًا كبيرًا وأخذت تتفحصه ثم قالت:

- تظاهر... بالموت.

مد خالد يده وأشار إليها أن تعطيه المجلد، أعطته إياه وحين نظر بداخله وجده قاموسًا بين العربية ولغة أخرى لم يرها خالد من قبل.

قال خالد:

- لماذا أتظاهر بالموت؟

قالت چومانا:

- حراس.... أمام... حراس.

قال خالد:

- هل تريدينني أن أتظاهر بالموت أمام حراس سنقابلهم؟

هزت چومانا رأسها:

- نعم... نعم

قال خالد:

- حسنًا، ولكنني لن أترك السلاح من يدي.

قالت چومانا:

- لا يروه.

قال خالد:

- حسنًا، لن يرى السلاح أحد.

غطى خالد نفسه بالغطاء مع أخته وأخفى سلاحه بينه وبينها، وتأكدت چومانا من تغطيتهم بالكامل ثم اعتدلت في جلستها وبحركة من الحبل رجع حيوان الماندور غريب الشكل للمشي بطريقته وصوت طرقات أقدامه المعتاده.

ظلت تقود العربة لمدة عشر دقائق أخرى حتى وصلت إلى مكان حراس الطريق.

كان الحراس جالسين على جانبي الطريق فقلما مر عليه أحد هنا. حين رأوا العربة قادمة من بعيد، قاموا كعادتهم وأسلحتهم موجهة ناحية القادم الجديد حتى يلقوا الخوف في قلوبهم، فقد تعلموا في أثناء تدريبهم أنه لكي يستتب الأمن يجب أن يبقى الشعب خائفًا. وقف أحد الحراس أمام حيوان الماندور فتوقف وصمت الجميع.

نظر الحارس إلى عيني چومانا وبراحت لبرهة فنظر براحت إلى الأرض أما چومانا فظلت تنظر في عيني الحارس بتحدٍّ.

لم يكن من المعتاد أن ينظر أحد إلى عيون الحراس مباشرة لعلم عامة الأوبجازيين أن ذلك قد يؤدي إلى مشاكل كثيرة وأحيانًا يتم الزج بهم في السجن حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

ولكن لم يكن الحال هكذا مع چومانا حيث كانت تطيل النظر إلى عيونهم كلما عبرت إحدى نقاط التفتيش تلك.

قال لها الجندي أمرًا بلغتهم الأوبجازية:

- انزلوا.

نزل براحت وخلفه چومانا وهي تنظر إلى عينيّ الجندي بتحدٍّ دون أن تتكلم، فقال لها:

- ما معكِ؟

قالت بهدوء:

- أشياء لا تخصك.

قال الجندي:

- أي أشياء؟

حاول خالد أن يستنتج أي شيء من هذه اللغة ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، قالت چومانا:

- اثنان من البشر العلويين.

اقترب الجندي من يمين العربة وجعل ينظر إلى جسدي خالد وأخته المغطيين ثم مد يده ليلمسهما ولكن چومانا صرخت بعنف:

- ابعد يدك القذرة عنهما، إنهما للملك والحاشية.

اقترب جنديٌّ آخر وقال بخشونة: من أنتِ يا امرأة؟

قالت چومانا: أنا صيادة.

قال وهو يشير بيده: وأين الباقي والحراس؟

قالت: يغلقون المنفذ وسيلحقون بنا.

تحرك الجندي إلى جوار زميله ثم قال وهو ينظر إلى خالد وأخته: سنأخذ قدم.

قالت بعنف:

- إن لمستم أيًّا منهما فسأبلغ حاشية الملك.

قال الجندي:

- قولي لهم أن أيًا منهما كان مقطوع القدم.

قالت بتحدٍّ:

- إن لم نتحرك الآن فسأبلغ سيدي زايزات أنكم عطلتمونا. وأنتم تعرفون من هو سيدي زايزات.

جاء جندي ثالث قائلًا بعنف محاولًا إخافتها:

- أين ورقك؟

أخرجت چومانا بعض الأوراق من جيب سري في ملابسها ثم فتحته بعناية وأعطته له، قال الجندي:

- يمكنني تقطيع الورق وآخذك أنتِ ومن معك.

ابتسمت چومانا قائلةً:

- لا تستطيع أن تفعل ذلك فأنت تعلم العقاب الذي سينتظرك والحقيقة أنك أجبن من أن تخدش الورقة التي بيدك.... وإن لم ترجع الورق إليّ ونرحل في الحال فسأبلغ عنكم سيدي.

فكر الرجل للحظات ثم قال وهو يرمي الورق على الأرض:

-خذي الورق.

انحنت چومانا وأخذت الورق وعلى عينيها وشفتيها ابتسامة انتصار فأكمل الجندي:

- ولكننا سنأخذ هذا.

وأشار إلى أخيها الذي امتقع وجهه ولكنه لم يستطع فتح فمه بكلمةٍ واحدة.

ابتسمت چومانا مرة أخرى وهي تقول:

- لن تفعل، وإن لم يتحرك كلانا الآن فسأقطع الورقة وأقطع جزءًا من الفرائس وأبلغ عنكم أنكم أخذتموه عنوة وسيكون عليك أن تشرح الموقف للحاشية.

امتقع وجه الرجل ثم قال وهو يصطنع الشجاعة:

- ارحلي ولا تتأخري على سيدك.

نظرت إليه بوجهٍ باردٍ ثم صعدت مع أخيها العربة وحركت لجام الحيوان فتحرك متخطيًا الجنود، أما أخوها فظل صامتًا حتى تركوا الجنود خلفهم.

ما إن ابتعدوا بمسافة كافية حتى قال براحت بلغتهم الأوبجازية:

- أيها الإله الأوحد، لقد كدت أموت خوفًا.

قالت أخته:

- اطمئن، إنهم أكثر خوفًا منا. نحن لا نملك ما نفقده، أما هم فيملكون.

بعد مرور عدة دقائق وبعد أن تأكد من أنه لا أحد يراهم قالت چومانا بالعربية:

- حراس.... تخطينا.

تحرك خالد بحذرٍ ونظر خلف العربة فلم يجد أحدًا ثم قال:

- إلى أين نحن متجهون؟

قالت چومانا: الحكماء... يعالجونها.

قال خالد: كم بقي من الوقت؟

ضاقت عينا چومانا وهي تمعن النظر إلى الطحالب: اثنان ساعة.

نظر خالد حوله ليرى إلى ما كانت تمعن النظر فيه ولكن المشهد حولهم لم يتغير فهم يسيرون في طريق بين جبلين دون أي معالم، ثم نظر إلى أخته والتي تتنفس بصورة طبيعية الآن.

سأل خالد: متى ستفيق فاطمة؟

قالت چومانا: لا معرفة.

مسح خالد العرق من رأس أخته ووجهها ثم ابتسم وهو يدعو الله من كل قلبه أن يحفظها.

بعد قليلٍ رأى خالد أن مجاري المياه الصغيرة تجمعت على يسار الطريق لتصنع مجرى أكبر بعرضٍ أقل من نصف المتر وعمق يزيد قليلًا عن ربع المتر، ظل مجرى الماء الوليد يكبر مع مرور الوقت حتى أصبح بحجم جدول ماءٍ صغير. ثم ازداد ليصبح بحجم ترعة متوسطة الحجم بعرض خمسة أمتار تقريبًا ولا يدري عمقها وعادت الصحراء ثانية على الجهة الأخرى من النهر الصغير ولكن الطحالب هنا كانت تشع بلون يميل أكثر للاخضرار.

قالت چومانا: تظاهر بالموت.

رأى خالد في آخر الطريق السائرين فيه مبنى خشبيًا كبيرًا وكأنه بوابة للمياه على النهر الصغير.

قالت چومانا بصورة ملحة: تظاهر بالموت.... يراقبون.

استلقى خالد ساكنًا لمدة عشر دقائق كاملة ولكنه لم يكن مغمضًا عينيه بصورةٍ كاملة. رأى بعض الحراس يجلسون فوق المبني الخشبي وقد توقفوا عما يفعلون وهم ينظرون إلى العربة القادمة من خارج المدينة.

لم يتحرك خالد ولكنه لاحظ وجود حركة في الجهة المقابلة من المبنى الخشبي فحرك رأسه ببطءٍ حتى لا يلحظه أحد ووجد مجموعة أخرى من الحراس يجلسون على جزءٍ بارز من الجبل بالقرب من مدخل أحد الكهوف.

لم تتوقف أو حتى تبطئ العربة من سيرها حتى ابتعدت عنهم، وبعد مدة تقترب من عشر دقائق قالت چومانا:

- تحرك.

قال خالد: ما هذا البناء على النهر؟

قالت چومانا: تحكم.

قال خالد: تحكم في ماذا ولماذا؟

قالت: ماء.

ظل خالد صامتًا لمدة أخرى وهو ينظر حوله لنفس المناظر التي لا تتغير فكلها صخور ومعظمها مغطًى بتلك الطحالب المضيئة. ظهرت فجوة بين جبلين على يمينه فلفت نظره وجود ما يشبه حقول المحاصيل الزراعية ووسطها أشجار ذات جذوع مضيئة وكثير من الأشخاص يعملون بها.

توقفت چومانا بعد الفجوة بقليل فقال خالد:

- ماذا الآن؟

قفزت چومانا ووقفت بجانب العربة وهي تشير إليه قائلة:

- انزل.

نزل خالد وعيناه تراقبان چومانا وأخاها.

أخذت چومانا الغطاء الذي يغطي فاطمة.

أمسك خالد معصمها بقوة قائلًا: اتركيه.

نظرت إليه چومانا بعينيها الواسعتين قائلة: غطاء... ملابس.

لم يفهم خالد ما تعنيه ولكنه تركها على أية حال فأخذت الغطاء وألبسته لخالد كالعباءة.

قال خالد: لماذا؟

قالت: لا يعرفونك.

ثم أردفت مشيرة إلى العربة: اركب.

ركب خالد وأجلس أخته فاقدة الوعي ووضع رأسها على صدره. كانت إحدى يديه تسند أخته والأخرى يستند عليها. ظل صامتًا وعقله به مئات الأسئلة عن هذه المخلوقات البدائية إلا أنه آثر الصمت حتى يطمئن على أخته.

أخذت العربة منعطفًا مائلًا إلى اليسار ثم آخر إلى اليمين وبعد مائتي متر أو يزيد قليلًا رأى خالد ما غير رأيه عن هذه المخلوقات؛ فقد كان أمامه بناءٌ عملاقٌ منحوت بباطن الجبل، شيء لا يوجد إلا في الخيال.

عقد خالد حاجبيه وهو يحاول أن يستوعب ما يراه.

ظلت العربة تتحرك للأمام والبناء يزيد اتضاحًا كلما اقتربوا منه.

كان البناء ثلاثة أدوار ومزينًا ببعض التماثيل المنحوتة، ارتفاع كل دور سبعة أمتار تقريبًا والباب بارتفاع ستة أمتار وبجانب الباب أعمدة صخرية تحمل الطابق الثاني والموجود به بعض الفتحات التي يبدو أنها تستخدم كنوافذ، ونفس الأعمدة تستمر لتحمل الطابق الثالث.

ظل خالد يحدق في البناء أمامه وفي التفاصيل التي تنافس كل ما رآه في حياته دقة وفي الناس الواقفين أمام مدخله. كان هناك مجموعة من الحراس الممسكين ببعض الأسلحة والعصيان ويتحدثون فيما بينهم وأمامهم مجموعة

كبيرة من البشر لا يرى آخرهم، يبدو عليهم الهزال الشديد.

انحرفت چومانا بالعربة يسارًا تاركةً المدخل الرئيسي، ليصبح المبنى على يمينهم. وبعد مائتي متر تقريبًا توقفت چومانا بالعربة قائلة شيئًا لأخيها ثم ترجمت قائلة لخالد:

- انتظر.

ببطءٍ أسند خالد أخته لتستلقي على العربة ثم قفز منها وهو يتفحص المكان حوله والمكان الذي دخلت منه چومانا.

غابت چومانا لعشر دقائق كاملة قبل أن تعود ومعها شخص آخر يرتدي ملابس بيضاء نظيفة عليها علامات ذهبية بمنطقة الصدر.

كان الرجل طويل القامة نسبيًّا، أسود شعر أسود قصير، قمحي البشرة قليلًا وذا عيونٍ بنيةٍ ويبدو على ملامحه النباهه والذكاء.

وقف الرجل ينظر إلى خالد وهو يتفحص وجهه وجسده وملابسه دون أن ينبس بحرفٍ واحدٍ، وكأنه ينظر إلى ديناصور حي.

كان خالد لا يزال يضع الملاءة فوقه كالعباءة ويظهر تحتها ملابسه الحديثة، بنطال جينز وتي شيرت.

لكزت چومانا الرجل المبهوت فانتبه وقال بلغة عربية فصيحة:

- أهلا بك يا سيدي، لقد قالت چومانا أنكما من البشر العلويين.

قال خالد: أنت تتحدث العربية بطلاقة.

قال الرجل:

- شكرًا على المجاملة سيدي، أنا من الحكماء وكلنا نتحدث العربية فنحن نتعلم من الكتب العربية.

أوشك خالد أن يسأله من أين يأتون بالكتب ولكنه فضل ترك هذا الموضوع جانبًا قائلًا:

- هل يمكنك معالجة أختي؟

اقترب الرجل من العربة وأخذ يتفحص وجه فاطمة والجروح على جسدها ثم قال:

- الأفضل أن تدخلوها إلى المشفى.

نظر خالد إلى أخته فاقدة الوعي للحظة، ومن ثم أخذ أحد السيوف القصيرة وحمل أخته متبعًا ذلك الرجل حتى دخلا من نفس مكان خروجهم وتبعتهم چومانا بينما بقي براحت بجانب العربة.

كان البناء المنحوت داخل الجبل تحفةً معماريةً وفنيةً في كل تفاصيله، الصغيرة منها قبل الكبيرة، كانت الجدران عبارة عن لوحات رائعة، أو كانت رائعة منذ أمدٍ بعيدٍ ولكن أكل عليها الدهر وشرب ولم يبقَ منها إلا آثار شاهدة على مهارة من رسمها.

دخل الحكيم ثالث غرفة إلى اليسار تبعه خالد حاملًا أخته وبعده چومانا، ثم قام الحكيم بإغلاق الستارة التي تحل محل باب الغرفة.

نظر خالد حوله، كانت الغرفة بطول سبعة أمتار وعرض خمسة. كانت خاليةً تمامًا إلا من بعض الأقمشة الموزعة على الأرض وكأنها أسرّة. لم يكن بتلك الغرفة أي من الرسومات الجدارية كالممر بل كانت أشبه بصندوق من الصخور له باب من القماش.

أشار الحكيم إلى خالد أن يضع أخته على أحد الأسرة فتوجه خالد إلى حيث أشار وببطءٍ شديدٍ وضع أخته على الأرض.

تكلم الحكيم لبعض الوقت مع چومانا بلغتهما ثم توجه بحديثه إلى خالد قائلًا:

- اسمي محتوب وأنا الحكيم المسئول عن هذا المشفى.

ثم جلس بجوار فاطمة الممددة على الأرض مكملًا:

- إصابات أختك سطحية ولكن تكمن الخطورة في ما وضعه الحراس على الجروح لتسييل اللحم.

امتعض خالد من الكلمة قائلًا:

- ماذا؟!!!

توقف الحكيم وعلى وجهه بعض علامات الأسف والأسى ثم قال:

- سأقص عليك كل شيء لاحقًا، لكن المهم أن چومانا قد وضعت بعض الأعشاب الطبية على الجروح فتوقف تأثير المواد التي وضعها الحراس، وسيأخذ تنظيف جروح أختك والعناية بها بعض الوقت حتى تسترد صحتها.

قال خالد:

- إذًا فيمكنك علاجها.

قال محتوب:

- نعم يمكنني، الأمر ليس صعبًا ولكنه يحتاج بعض الوقت فقط.

تنهد خالد بصوت منخفض:

- الحمد لله.

ثم سأل الطبيب:

- كم يستغرق هذا العلاج؟

قال الحكيم: أظنه سيستغرق تسعين أو مائة يوم.

اتسعت عينا خالد: ثلاثة أشهر؟!

قال الحكيم محتوب: نعم، ثلاثة أشهر أو أكثر قليلًا.

قال خالد: هل يمكنك عمل شيء مؤقت ونستكمل علاجها في البيت، أقصد فوق الأرض؟

قال الحكيم:

- لا أظن ذلك، لن تجد حكماء يعلمون ما أصابها ولا كيفية علاجها، ولكنني سأحاول تسريع العلاج بأقصى ما يمكنني.

كان هذا أسوأ ما يخشاه خالد، فأمه بالبيت بمفردها وستموت من القلق بسبب اختفائهما المفاجئ، وهو لا يمكن أن يرجع ويترك أخته بمفردها هنا.

كادت الحيرة تقتله ولكن فكرة أن خاله سيعتني بأمه أعطته بعض الاطمئنان وساعدته على اتخاذ قراره، فقال بعد ترددٍ مستسلمًا لقضاء الله وقدره:

- حسنًا فلتبدأ العلاج يا دكتور.

قال الحكيم:

- نحن لا نستخدم مصطلح (دكتور) هنا، هنا يطلقون علينا اسم الحكماء، وبالمناسبة ما اسمك؟

- اسمي خالد.

الحكيم: حسنًا سيد خالد، سأحضر بعض الأدوات وأعود... لن أتأخر.

رجع الحكيم محتوب بعد قليل ثم قال موجهًا حديثه إلى چومانا بعد أن وضع أغراضه بجانب فاطمة الممددة على الأرض: أحضري شعله وأكثري الإضاءة.

كانت الإضاءة ضعيفة إلى حدٍّ بعيد ولكن بعد قضاء اليوم بأكمله في هذه العتمة فإن خالد قد اعتاد على الرؤية بأقل كمية إضاءة.

عادت چومانا بعد قليل حاملةً شمعة بيضاء وأخذت تقرب اللهب من العمود الحامل للكرة المغطاة بالطحالب فزاد توهج الطحالب وتحولت الإضاءة من اللون الأخضر الضعيف إلى لونٍ أصفر قوي. كان ذلك العمود المعدني مثبتًا بالحائط وأسفل هذا العمود يوجد مكان لوضع شمعة أو مصدر للهب.

قال الحكيم محتوب بعد أن لاحظ متابعة خالد لما تفعله چومانا:

- يزيد توهج الإضاءة الصادرة من الطحالب مع ارتفاع درجة حرارتها حتى درجة معينة ولو زادت عنها فإنها تحترق.

أضاف خالد وهو ما زال يراقب ما تفعله چومانا:

- وأيضًا يتحول لونها من الأخضر للأصفر.

أخرج الحكيم محتوب سكينًا صغيرًا من حقيبة أدواته ثم غمسه في قارورة صغيرة بها سائل أحمر وبدأ يعمل على جراح فاطمة وبعد دقائق بدأ جسد فاطمة يهتز.

توقف الحكيم وتركها تهدأ ثم سأل:

- كم عمرها سيد خالد؟

أجاب خالد: تسعة عشر عامًا

قال الحكيم محتوب:

- سيد خالد، أنصحك بشدة أن تعود إلى بيتك وترجع هنا بعد مائة يوم.

هز خالد رأسه قائلًا:

- لن أتركها هنا بمفردها.

قال الحكيم:

- أنا أتفهم موقفك سيد خالد وخاصة بعد ما حدث، ولكن إذا قررت المكوث هنا فستكون هناك خطورة كبيرة عليكما وعلى چومانا وعليّ أيضًا.

قال خالد: أنا لا يهمني كل هذا الهراء، أنا لن أترك أختي معكم.

قال الحكيم: إذا كان لا بد فهناك أمور يجب أن تفهمها إذا أردت البقاء هنا، أولًا يجب أن لا يعرف أحد أبدًا أنكما من البشر العلويين لأن هذا حكم بالإعدام علينا جميعًا.

ثم أضاف وهو ينقل نظره من چومانا إلى خالد:

- سنتمنى الموت ألف مرة إن عرفوا أنك من البشر العلويين ونحن نخفيك. ثم أكمل بعد لحظات من الصمت:

- لذلك فالأفضل أن تتظاهر أنك أبكم، ثانيًا: يجب أن تغير ملابسك بملابس الأوبجازيين، ثالثًا: ستتجنب الاحتكاك بأي أحد هنا سواء أوبجازيين أو...."

صمت للحظات مفكرًا ثم أكمل: الأفضل أن نجد لك مكانًا تعيش فيه.

قالت چومانا شيئًا باللغة الأوبجازية فظل الحكيم صامتًا لمدة ثم قال لخالد: يمكنك أن تعيش في أحد حفر الأوبجاز.

امتعض خالد عندما سمع كلمة حفر ولسبب ما ربطها مباشرة بهؤلاء الواقفين أمام المشفى بالعشرات ولكنه نفض ذلك عن تفكيره قائلًا:

- لن أترك أختي ولن أبتعد عنها ما دمنا هنا.

قال الحكيم: أنت لا تفهم خطورة هذا سيد خالد، إن عرف أحد أنك من البشر العلويين فسيقبضون عليك وعلى أختك وستكون نهايتك.

قال خالد: دعهم يعرفون وسيلحقون بالآخرين.

ضاقت عينا الحكيم وردد ببطء: الآخرين!!!

تدخلت چومانا قائلةً بالعربية: قتل... حراس.

اتسعت عينا الحكيم وهو يدير عينيه بين خالد وچومانا قائلًا:

- هذه كارثة.

تحدثت چومانا لبعض الوقت بالأوبجازية مع الحكيم وفي عينيها علامات ابتهاج واضحة.

قال الحكيم لخالد وصوت دقات قلبه يكاد يصل لأذن خالد:

- تقول چومانا أنك قتلت ثمانية من الحراس بمفردك.

قال خالد: وسأقتل كل من يفكر أن يؤذي فاطمة.

قال الحكيم: هذه مشاعر نبيلة سيد خالد، ولكن الموضوع يختلف هنا.

قال خالد: لا يهم، كل ما يهمني حاليًا هو أن أبقى مع أختي.

قالت چومانا شيئًا ثانيًا ففكر الحكيم للحظات ثم قال:

- يمكنك أن تبقى هنا وسأقوم بتسجيلك كمريض وسأجعل هذه الغرفة لكما فقط ولكني لا أضمن منع الفضوليين.

قالت چومانا بالأوبجازية:

- دعهم لي.

قال خالد بالعربية وهو يشير بعد اكتراث:

- لا أهتم.

قال الحكيم: الأمور لا يتم التعامل معها هكذا وخاصة إذا كان هناك الكثير من الأرواح على المحك.

قال خالد:

- سأعيد ما قلته ثانية، أنا لا أهتم بكل الهراء الذي تقوله.

قال الحكيم بنفاد صبر:

- أمامك الكثير لتتعلمه أيها الشاب.

قال خالد: لا أظن أن أيًّا منكما يمكنه تعليمي شيئًا.

ابتسم الحكيم محتوب متجاهلًا كلامه ثم أكمل وهو يبدأ العمل على جراح فاطمة ثانيةً:

- لا أظن أن تظاهرك بالبكم سيفيد، فربما يسمعك أحد صدفة، الأفضل أن تتعلم بعض الجمل الأوبجازية حتى تستطيع التعامل هنا.

قال خالد:

- لا حاجة لأتعلم شيئًا لن يفيدني.

قال الحكيم:

- كل العلوم مفيدة حتى وإن لم تعرف قيمتها في حينها، فسيأتي يوم وتعرف.

تجاهل خالد تعليقه ولم يتكلم الحكيم مرةً أخرى وأخذ يعمل على جراح فاطمة مرة أخرى وخالد يتابع ما يفعله.

قال خالد بعد مدة:

- لماذا تعيشون هنا وليس على ظهر الأرض؟

قال الحكيم:

- هذه قصة طويلة.

قال خالد وهو يتحرك ليسند ظهره للحائط ويمد رجليه أمامه:

- ليس لدي ارتباطات مهمة اليوم ويمكنني سماعها.

ابتسم الحكيم ثم قال:

- سأحكيها لك باختصار...

لقد كان غالبية المصريين قديمًا يعبدون الإله "آمون" والبعض كان يعبد "رع" إله الشمس وآخرون كانوا يعبدون آلهة أخرى كثيرة. أما نحن فاتبعنا أمنحتب الرابع - إخناتون - الروح الحية لآتون والذي دعا لتوحيد الآلهة. استجاب لدعوته بشرٌ كثيرون من مشارق الأرض ومغاربها وجميعهم تركوا بلدانهم وقدموا إلى بلدنا. ولكن بعد فترة بدأ أعداؤنا يضيقون علينا حتى وصل الأمر إلى حرب بيننا وبينهم. انتصرنا في بعض المعارك ولكن حدث شيءٌ ما لم تذكره كتب التاريخ.

صمت للحظة ثم أضاف:

- يمكن أن تقول خيانة أو شيئًا من هذا القبيل، فجأة انقلبت كفة الحرب ولم يكن لأسلافنا بد من الهرب. حاولوا الهرب ولكن الأعداء حاصروهم، وأثناء ذلك اكتشف أجدادنا الكهف والذي قادهم إلى هذا العالم وهذا هو بداية التقويم والتاريخ الذي نستعمله فنحن في عام ٣٣٧١ من الانتقال.

مال خالد بظهره للأمام قائلًا:

- هل أنتم من الفراعنة؟!

قال الحكيم:

- أنتم تطلقون علينا "المصريون القدماء"، أما نحن فنقول على أنفسنا إما أوبجازيين أو نيروسيين.

قال خالد:

- وما الفرق؟

قال الحكيم:

- الأوبجازيون تقريبًا سبعة وتسعون من كل مائة ولكن النيروسيين هم المتحكمون في كل شيء.

قال خالد:

- إذا كنتم من الفراعنة، أقصد المصريين القدماء، فهل لغتكم هذه هي الهيروغليفية؟

قال الحكيم: الهيروغليفية ليست لغة بل طريقة كتابة.

قال خالد:

- حسنا، ولكن لماذا لم تعودوا للسطح ثانيةً، أعني فوق الأرض؟

قال الحكيم:

- بعد لجوء أسلافنا الأوائل إلى هنا قام الحكماء القدامى باستخدام كل علومهم لتحويل هذا المكان إلى ما يشبه الجنة وقد كان، قاموا بإنتاج هذه الطحالب المضيئة والطعام كان متوفرًا وبالطبع العدل والأمان كانا أفضل بكثير من سطح الأرض.

صمت الحكيم للحظات ثم أكمل:

- وبعد مرور عدة أجيال ومات من قاسوا ويلات الحروب حاول الأحفاد الصعود إلى أعلى ولكن أفراد الاستطلاع رجعوا قائلين إن الفساد استشرى في المجتمع والظلم كان هو السيد، فاتخذوا قرارًا بعدم الصعود إلى السطح. وبعد مرور عدة أجيال أخرى حاول آخرون الصعود إلى أعلى ولكنهم لم يتحملوا الشمس، حتى إن بعضهم مات من تعرضه للشمس بطريقة مباشرة وآخرون أصيبوا بالعمى.

هز خالد رأسه قائلًا:

- فهمت.

ظل خالد صامتا مراقبًا ما يفعله الحكيم الذي احترم صمته. كان الجو هادئًا ولا يوجد صوت إلا صوت أنفاس الحكيم وهو يعمل بجدٍّ على جرح فاطمة أما چومانا فكانت جالسة بصمتٍ وكأنها تمثال.

بعد مدة من الصمت تعدت الخمس دقائق سأل خالد فجأة:

- لماذا خطفتم أختي؟

قال الحكيم:

- أنا بالفعل أعتذر عن هذا، ولكن ما باليد حيلة، إنهم مجبرون على ذلك.

قال خالد:

- ماذا تعني؟

قال الحكيم:

- چومانا من الأوبجاز الصيادين ومهمتها هي جذب البشر بجمالها ومن ثم يقوم الحراس بخطف من يقترب منها من البشر.

اختلس خالد نظرةً سريعةً إلى چومانا وبالفعل رأى ملامحها رقيقة حتى بمقاييس البشر.

أكمل الحكيم وهو ما يزال يعمل على جراح فاطمة:

- يتم أخذ الفريسة من البشر وجرحها في أماكن متعددة في جسدها ووضع بعض المواد في جسدها ل..."

لم يستطع الحكيم أن يكمل فسأل خالد:

- لماذا؟

قال الحكيم بعد تردد:

- الملك والحاشية يحبون لحوم البشر العلويين فهم يعتقدون أنها تزيد من قوة الرجل وجمال المرأة.

قال خالد وهو يكتم غيظه:

- هل كنتم تريدون أكل أختي؟

قال الحكيم:

- ليس نحن بل هم. الشعب منقسم إلى قلة من النيروسيين المسيطرين على كل شيء وأغلبية ساحقة من الأوبجازيين، سيطر النيروسيون ومنهم الحاشية على الحكم منذ مئات السنين ولولا أنهم يحتاجون إلى علوم الحكماء لقتلونا شر قتلة.

قال خالد:

- هذا المكان كالوباء.

تنهد الحكيم بأسى قائلًا:

- لم يكن كذلك، ولكن مع ذهاب العدل ذهب الجمال.

ظل خالد صامتًا والحكيم يعمل على جراح أخته وهو ما زال يدير الأمر في رأسه، أخذ ينظر إلى الحوائط المتسخة من علامات أيدي المرضى ثم قال فجأة:

- لماذا أصابك الذعر عندما عرفت أنني قتلت الحراس؟

قال الحكيم:

- إذا حدث أي خلاف حتى إن كان بسيطًا بين أحد الأوبجازيين وأحد الحراس فغالبًا سيتم قتل الأوبجازي، أما أن يصل الأمر أن يقتل أوبجازي أحد الحراس فإنهم يعذبونه حتى يكون عبرة لغيره، وأنت قتلت ثمانية من الحراس

ولكنهم لن يصلوا إليك ولذلك فستكون چومانا هي كبش الفداء، وسينزلون بها وبأخيها العذاب أصنافًا وألوانًا، في الحقيقة أنا أعدّها الآن في عداد الموتى.

تحدثت چومانا بالأوبجازية:

- ليس لدي ما أخسره.

قال الحكيم بنفس لغتهما:

- لا، لديكِ أخ ومستقبل.

قالت: أخ سيموت معي، ومستقبل مليء بالظلم والقهر والاستعباد.

قال خالد:

- تحدثا بالعربية لأفهمكما.

ترجم له الحكيم ما قالاه فقال خالد:

- يمكنها أن تهرب إلى أي من الحفر التي ذكرتها من قبل.

ابتسم الحكيم ابتسامة حزينة اختفت سريعًا مع تجهم وجهه ثم قال:

- عقوبة إخفاء أحد المطلوبين هي منع الماء والطعام عن مناطق كثيرة ولذلك فلا أحد يمتلك الجرأة على إيواء أحد المطلوبين لأنه يعلم أن ذلك سيجلب ويلات عليه وعلى أهله جميعًا.

قال خالد:

- لماذا ستبقيني هنا إذًا؟

ابتسم الحكيم قائلًا:

- لأني أحمق. أحمق ولكن لا أرضى بالظلم الواقع على الأوبجازيين وغير موافق على اختطافكما.

ابتسم خالد لأول مرة وهو يرجع بظهره ليلامس الحائط ثانية ثم قال وهو يشير إلى چومانا:

- ما هذا الكتاب الذي تقرئين فيه يا چومانا منذ أن جئنا؟

قال الحكيم:

- تم اختيار چومانا من ضمن الصيادين وتعليمها بعض أساسيات اللغة العربية البسيطة لأن ملامحها من النوع الذي يروق للبشر العلويين فبذلك تستطيع اجتذاب الفريسة لها، ولكن الكتاب مفيد في نواحي عديدة.

لم يعلق خالد وتحرك من مكانه ليجلس قريبًا من قدمي أخته وأسند رأسه على الحائط الصلب ولم يدرِ بنفسه.

*****

الفصل الثاني

الخميس – ما يوازي السابع عشر من إبريل
مدينة ساندرون – مصر
الساعة السادسة صباحًا

استيقظ خالد على صوت حركةٍ خفيفةٍ ففتح عينيه وهو ينوي إبلاغ أمه وأخته عن الحلم الذي رآه بالأمس، ولكنّ نظرةً واحدةً إلى مصدر الصوت جعلته يقفز واقفًا على قدميه وهو يبحث عن سلاحه، وقد عادت إليه ذكريات الأمس دفعة واحدة.

كان مصدر الصوت هو براحت لافون شقيق چومانا وهو يفتح الستارة التي تغلق مدخل الغرفة حاملًا معه بعض النباتات الورقية التي تشبه حزمة من النعناع وبيده الأخرى قطعة قماش ملفوفة حول شيء صغير.

قال براحت شيئًا ما ولكن "خالد" لم يفهمه وظل يمسح الغرفة بعينيه باحثًا عن سلاحه.

استيقظت چومانا على صوت أخيها فقالت شيئًا ما ثم توجهت بحديثها إلى خالد: طعام.. أتى طعام

قال خالد بغضب:

- أين سلاحي؟

تحركت چومانا إلى فاطمة ثم انحنت فوقها وحركتها قليلًا لتخرج سلاح خالد قائلةً:

- ها هو.... أحد.... لا يراه.

قال خالد وهو يتقدم نحوها بحذر:

- أعطني إياه.

أمسكت چومانا بنصله وأعطته مقبضه فأخذه ثم قال:

- ما هذه الرائحة؟

قالت وعلى وجهها ابتسامة عريضة أظهرت أسنانها البيضاء بالكامل:

- طعام.

أخذت چومانا الطعام من أخيها وجلسا يفترشان الأرض وأمامهما النباتات الورقية، ثم فتحت الحقيبة وأخرجت منها شيئًا ما يشبه الأرنب المسلوق ووضعته أمامهما.

مد براحت يده ليأكل ولكن أخته ضربت يده قائلة شيئًا بلغتهما ثم توجهت بحديثها لخالد قائلة بالعربية:

- لا أكل.... أمس صباحًا.

كان إباء خالد يمنعه من مشاركة الطعام مع من كانوا السبب في وصولهم إلى هذا الحال. ولكن معدته كان لها رأي آخر وظهر ذلك جليًّا في صوتها. لم تمضِ ثوانٍ حتى تغلبت معدته على كبريائه وجلس يشاطرهما الطعام.

قطع خالد الحيوان إلى نصفين ثم أخذ قطمة من الحيوان الزاحف الذي اصطادته چومانا بالأمس بعد أن طهاه براحت.

قطبت چومانا حاجبيها بغضبٍ وهي تنظر إلى اللحم بيد خالد وفي فمه قائلة بغضب:

- كثير.

كان خالد يمسك بنصف الحيوان الزاحف ولكن بعد كلمة چومانا توقف ونظر في عينيها مباشرة وقضم قضمةٍ أخرى منه.

قالت چومانا بغضبٍ:

- أنا ... أصطاده.

ثم مدت يدها لتخطف اللحم من يده ولكن يد خالد اليسرى كانت أسرع فضربت يدها لتبعدها.

تركت چومانا الأكل وقفزت لتأخذ اللحم من خالد الذي أمسكها ورماها بعيدًا فقفز براحت ناحيته ولكن خالد أمسكه ولوى ذراعه خلف ظهره ثم رماه للخلف.

كان صوتهم عاليًا فجاء على أثره الحكيم محتوب قائلًا بغضب:

- لم يمضِ يومٌ على وجودكم هنا وصوتكم لفت انتباه كل من بالمشفى.

قالت چومانا وقد فشلت في مقاومة دموعها:

- أخذ.... نصف الضاب..... اصطدته.

قال خالد:

- إذًا فهذا الشيء اسمه ضاب، الحقيقة طعمه لا يختلف كثيرًا عن اسمه.

قالت چومانا:

- لا لحم..... كثير أيام ... يأخذ.... نصفه.

قبل أن يتفوه أحد بشيءٍ آخر صدر صوت تأوه ضعيف، فالتفت الجميع ورمى خالد قطعة اللحم وانطلق ليجلس بجانب أخته وبجانبه الحكيم محتوب وهو يتفحصها.

قال خالد:

- هل ستفيق؟

قال الحكيم:

- المفترض أن تفيق منذ ساعات. لا أعلم ما الذي أخرها.

ثم التفت إلى چومانا قائلًا:

- الإضاءة.

تركت چومانا الطعام بعد أن أخذت قطعة اللحم التي رماها خالد ومسحتها ثم انطلقت لتأتي بشمعة لتسخن الأعمدة لتزيد من إضاءة الطحالب.

بدأت فاطمة تهزي ببعض الكلمات المبهمة لمدة ثم فتحت عينيها وظلت تنظر إلى خالد وهي عاقدة حاجبيها ثم قالت وهي تتأوه ثانية:

- ماذا حدث؟

قال خالد مبتسمًا ويده تمسح على شعرها ووجهها:

- هل تذكرين حينما كنتِ صغيرة، ألم تكوني تتمني أن تذهبي في مغامرة مثل الأميرات مع أبي -رحمه الله-؟

ابتسمت فاطمة ولم تجب فأضاف خالد وهو يقلد أسلوب أفلام الرسوم المتحركة:

- نحن في مغامرةٍ مثيرةٍ.

ثم أضاف: ولكنها جاءت متأخرة أكثر من عشر سنوات.

حاولت فاطمة أن تستند على يديها لتعتدل جالسة ولكن الحكيم وضع يده عليها قائلًا:

- استريحي، الأفضل أن تظلي راقدةً حتى تستعيدي قوتك.

قالت فاطمة:

- أنت تتكلم بطريقة مضحكة.

ثم ابتسمت وهي تنظر إلى ملابسه البيضاء المطرزة بخيوط ذهبية:

- لماذا ترتدي هكذا؟

أجابها خالد:

- هذه جزء من المغامرة؟

نظرت حولها ثم قالت:

- أين نحن؟

ثم رأت چومانا وبراحت وظلت تحدق بهما للحظات، ثم تحولت ملامحها إلى رعبٍ صافٍ عندما قفزت أحداث الأمس لذاكرتها.

دفنت فاطمة وجهها بيديها وجسدها يهتز بشدة وكأنه موصلٌ بتيارٍ كهربائيٍّ. وضع خالد يده على كتفها فرمت فاطمة بنفسها على صدر أخيها الذي احتضنها بقوة.

لم تدرِ چومانا ما تقول ولا كيف تعتذر فظلت واقفةً ودموعها تنساب بصمت. قالت بعد مدة وبصوت منخفض:

- آسفة... لا إرادتي.

ظلت فاطمة في نوبة البكاء الهستيري لأكثر من نصف ساعة وجسدها يرتج وخالد محتضنها بقوة.

أشار الحكيم محتوب إلى چومانا بأن تظل صامتة حتى هدأت فاطمة تمامًا والتي قالت وهي تتحاشي النظر إلى چومانا:

- ماذا حدث لأمي؟ وأين نحن؟ ولماذا فعلوا ذلك؟

اعتدل خالد في جلسته ثم قال:

- سأحكي لكي التفاصيل ولكن عديني بأن تكوني قوية وتتحملي كل ما سأقوله.

وعدته فاطمة فأخبرها أنه رأى أنه من الأفضل أن يبقى معها تنفيذًا لوصية والده بأن يعتني بها ولأن خاله سيعتني بأمهما ثم حكى لها كل ما حدث دون إغفال أي شيء وأيضًا من هؤلاء ولماذا هم تحت الأرض وكل ما عرفه من الحكيم محتوب ثم حكى لها ما عرفه عن سبب خطفها وعن الملك والحاشية واعتقاداتهم.

قالت فاطمة بعد أن انتهى خالد وعلى وجهها علامات رعب مخلوط بامتعاض:

- كانوا يريدون أكلي؟!!

ابتسم خالد على الرغم منه وجذب رأس أخته إلى صدره ثانية لثوانٍ. نظرت فاطمة إلى چومانا التي جلست منكمشة بجانب الحائط:

- لماذا فعلتِ ذلك بي؟

قالت چومانا ودموعها تنساب بصمت:

- بشرية علوية.

قالت فاطمة:

- ولماذا علوية؟

هنا تدخل محتوب في الحديث قائلًا:

- هناك أسطورة تقول إن لحوم البشر العلويين تعطي قوة للرجال وتزيد جمال النساء.

ثم أضاف عندما رأى الدموع في عين چومانا:

- لا تقسوا عليها، إنها لا تملك الاعتراض أو الرفض، وإن رفضت فستتمنى الموت ألف مرة.

تنهد ثم أكمل:

- بعد العلاج سترجعان إلى بيتكما أما هي فسيكون الموت مصيرها إن كانت محظوظة أو كان لديها الجرأة لتقتل نفسها أما إن تم القبض عليها فهناك سببان لتعذيبها حتى تطلب الموت ولن تجده.

قالت فاطمة:

- لماذا؟

رد محتوب:

- مات الحراس جميعًا وسيتهمونها وأخاها بقتلهم ثم اختفت الفريستان الخاصتان بالملك... العذاب الذي سيقع عليهما خارج حدود مخيلتي.

قال خالد:

- هذا جزاؤها.

أما فاطمة فردت بعاطفة الأنثى:

- هي لم تقتل أحدًا.

قال الحكيم:

- هذا لا يهم، سيجعلون منها ومن أخيها عبرة لكل الأوبجازيين.

صمت للحظات ثم قال لفاطمة مغيرًا الموضوع:

- يجب أن تأكلي الآن حتى تستعيدي بعضًا من قوتك.

قربت جومانا الطعام لها ثم رجعت إلى مكانها بجانب الحائط وعيناها لا تفارقان الحيوان المطهو الذي اصطادته بالأمس، أخذت فاطمة أول قطعة ثم بصقتها وهي تقول:

- طعمه سيئ.

قال الحكيم: يجب أن تأكلي.

تدخل خالد في الحديث:

- اضغطي على نفسك وتناوليه.

أخذت فاطمة تتناول قطعًا صغيرة وملامح وجهها تشي بطعمه.

ظلت جومانا تنظر إلى فاطمة وهي تتناول الطعام ثم قالت شيئًا باللغة الأوبجازية ورد عليها الحكيم محتوب باللغة نفسها.

قال الحكيم محتوب لخالد:

- إن اللحم شحيحٌ بدرجةٍ كبيرةٍ وسط الأوبجازيين وعندما يجدونه يجب أن يحموه حتى لا يأخذه أحد منهم. لذلك تضايقت جومانا مما فعلته لأنها لم تأكل أي لحم منذ خمسين يومًا ومع ذلك جاءت باللحم هنا كي تتقاسمه معكم ولكنك أخذت نصف الضاب وهذا دفعها للجنون.

توقفت فاطمة عن الأكل قائلة:

- لقد شبعت، يمكنها أن تأخذ الباقي.

قال خالد:

- دعكِ منهم، كلي أنتِ وهم سيتدبرون أمرهم.

قالت فاطمة:

- لا، لقد شبعت بالفعل والحقيقة أن طعمه غير مشجع وهذه الخضروات أفضل منه.

شكرها الحكيم ثم قال شيئًا لچومانا وبراحت الذين قاما بالهجوم على ما تبقى من الطعام والتهماه بالمناصفة حتى اللقمة التي بصقتها فاطمة على الأرض، وبعد أن انتهيا جلسا يلعقان أصابعهما وهما يسندان ظهريهما للحائط.

قال الحكيم محتوب:

- عادة يستغرق إغلاق أي ممر إلى العالم العلوي عشرين يومًا تقريبًا ولكن لأنه تمت رؤية چومانا وبراحت عائدين بالفريستين ودون إرسالهما للملك فسيبدأ البحث عنهما خلال يومين أو ثلاثة.

ثم نظر إلى چومانا قائلًا:

- أظن أن عليكِ أخذ زمام المبادرة ويمكنني مساعدتك في التخلص من حياتك بأقل ألم ممكن.

لم ترد چومانا فتوجه الحكيم محتوب بحديثه لخالد وفاطمة قائلًا:

- أما أنتما فلا تتحدثا مع أي أحد مهما كان إلا إذا طلبت منكما ذلك.

قالت فاطمة: هل تطلب من چومانا أن تقتل نفسها لشيء لم تفعله؟

قال الحكيم محتوب: أنا أعرض المساعدة فقط. يمكنها أيضًا أن تختبئ في الجبال إلى الأبد.

ظل الجميع صامتين لمدة، ثم تحدثت چومانا بالأوبجازية وبؤبؤ عينيها يهتز بقوة وكأنه يخشى أن تداهمه الدموع:

- لا أريد أن أعيش في الجبال، هذا أسوأ من سجن الثعبان.

وضع براحت ذراعه حول كتف أخته فدفنت چومانا نفسها أكثر بأخيها وكأنها تلتمس الأمان منه.

هز الحكيم محتوب رأسه قائلًا بنفس اللغة:

- ليس هناك أسوأ من سجن الثعبان، صدقيني، لقد سمعت عن أشياء هناك ما منعني النوم لأيام. الموت أفضل من الوجود هناك دون تعذيب فما بالك بالتعذيب.

صمت قليلًا ثم أضاف:

- ليس عندي حل آخر، إما أن تتخلصي من حياتك أو تهربي.

ظلت چومانا ساكنة لوهلة ثم قالت:

- هل تذكر ما كنا نتحدث فيه سابقًا؟

قال: هل ستعودين إلى الهراء والحماقات ثانية؟

قالت چومانا بتحدٍّ:

- نعم، مع أن الحياة كانت قاسية إلا أنني كنت أخاف أن أفقدها، أما الآن فليس لدي ما أفقده وسأحقق الحلم الذي أعيش من أجله.

الحكيم: هذه ليست أحلام إنها أوهام. نحن لا نستطيع تحدي الحراس فما بالك بالملك والحاشية.

قالت وهي تشير برأسها إلى خالد:

- نحن لا نستطيع بمفردنا، ولكن إذا زاد عددنا وانضم هو إلينا ففرصتنا كبيرة.

قال الحكيم وهو يضم شفتيه: هذه الفكرة أكثر حماقة من فكرتك الأولى، في الحقيقة أنا أتعجب من أنه لم يقتلك حتى الآن.

صمت قليلًا ثم أضاف:

- أنتِ حمقاء بالفعل، وكيف ستطلبين منه ذلك؟

چومانا: لا أعلم، ولكنني يجب أن أتقن العربية أولًا.

الحكيم: ليس فقط العربية، يجب أن يقتنع الآخرون بالفكرة.

قالت وقد عاد بريق عينيها:

- إذًا فأنت موافق. سأتحدث معهما وأنت تتحدث مع مساعد رئيس الحكماء.

قال الحكيم محذرًا: يجب ألا يتم الزج باسم (مانكيم) في أي شيء نفعله أو نخطط له.

كان الحديث يدور بالأوبجازية، وفاطمة وخالد يتابعان الحديث دون أن يفهما محتواه فتدخل خالد بالحديث قائلًا بالعربية:

- فيمَ تتحدثان؟

قال محتوب:

- آسف لأننا تحدثنا بالأوبجازية

ثم ابتسم ورفع يديه بطريقة مسرحية مكملًا:

- الحقيقة أن چومانا ستموت لا محالة، إما سيقبضون عليها ويعذبونها حتى الموت أو ستهرب وتموت في الجبال، أما هي فتريد قتل الملك.

قال خالد موجهًا حديثه للحكيم:

- لماذا تكره الملك؟

ابتسم الحكيم محتوب بمرارة:

- الملك يمتلك كل شيء... كل الأراضي والمتاجر وأماكن الصناعات... كل شيء. الملاك من النيروسيين يستأجرون الأراضي ويدفعون الإيجار والضرائب للملك والحاشية. ناتج الزراعة أو التصنيع يملكه النيروسيون ويعطي في المتوسط ٦ زينكا في اليوم للعامل أو الصانع.

قال خالد: زينكا؟!!!

قال الحكيم:

- إنها عملة نحاسية، كل مائة زينكا تساوي عملة فضة وكل عشرة عملات فضية تساوي عملة ذهبية. يعمل الأوبجازي طوال اليوم لقاء ستة زينكا فقط في اليوم وتكلفة الوجبة الواحدة أكثر من اثنين زينكا، فيضطر العامل المسكين لأكل وجبة واحدة ليترك الباقي لعائلته.

تنهد الحكيم ثم أكمل:

- أي بائع أو صانع بالسوق يجب أن يكون له شريك من النيروسيين، كما أنه ممنوع البحث عن معادن إلا بأمر الملك أو الحاشية وهم فقط من يمكنهم إصدار العملات.

قالت جومانا شيئًا بالأوبجازية فترجمه الحكيم محتوب:

- مراقبة الأوبجازيين هو أساس التحكم، الأوبجازيون دائمًا خائفون. لا يستطيع أي أوبجازي التجول بحرية داخل المدينة، وإذا خرج من المدينة فهناك قطاع الطرق، والذي يُعتقد أنهم متعاونون مع الحراس ولذلك لا يتم القبض عليهم ليزيدوا من خوف الأوبجازيين، بينما لا يقترب قطاع الطرق هؤلاء من النيروسيين.

قالت چومانا شيئًا آخر فترجمه الحكيم محتوب أيضًا:

- تقول چومانا أيضًا أن هذا النظام يفسد من بقلبه مثقال حبة شعير من خير ولذلك يجب تغييره.

قال خالد:

- هذا تخريف وأحلام يقظة.

قالت چومانا:

- حلم لا...... هدف.

ثم أضافت بالأوبجازية موجهةً حديثها إلى الحكيم محتوب:

- سأنصرف الآن لأتحدث مع الباقين.

ثم قالت بالعربية وهي تمسك بالقاموس موجهةً حديثها لخالد وفاطمة:

- تعلما. .أوبجازية.

ثم انصرفت دون أن تنتظر ردًا أو تعليقًا منهما وعيون الباقين تتابعها، وأخوها خلفها كظلها.

*****

انطلقت چومانا إلى السوق والتي تبعد عن المشفى ساعتين سيرًا على الأقدام. كانت السوق من أكثر الأماكن إضاءة في مدينة ساندرون، فصاحب كل مشغل أو متجر يعمل على تغطية أكبر قدر ممكن من الحوائط الخارجية بالطحالب المضيئة، كما يعملون على تسخينها باستمرار.

كان للسوق أربعة مداخل، أكبرها من الناحية الشرقية وهو أقربها للمشفى ولذلك اختارته چومانا. كان جانبا المدخل منحوتين في جبلين ليشكلا أسدين كل منهما بارتفاع تسعة أمتار، ويلي المدخل ساحة كبيرة يحتل يمينها المبنى الحكومي وهو أول ما قابلها عند دخولها للسوق، وهو مجلس واستراحات للحراس ومركز للبريد ومحكمة أولية لتسجيل المواليد والزواج والوفاة وخلافه وساعة مائية لتقسيم اليوم إلى أربعة وعشرين ساعة أو ما يسمى بثلاث وحدات (ديكاد).

انعقد حاجبا چومانا عندما تذكرت ما كان يحدث عندما تأتي مع صديقاتها عند زواجهن لتسجيل الزواج وكمّ المضايقات التي تعرضن لها من الحراس فشدت ملابسها حولها كرد فعل تلقائي.

كان على يسار المدخل مركز تعليم وتثبيت الانتماء والذي يُجبر جميع الأوبجازيين على حضوره. كل ما يتعلمونه هنا هو أن الملك هو حامي البلاد وأنه ظل الإله في الأرض وممنوع التساؤل أو التفكير فيما يفعله.

كان أعضاء (وزارة الاعتقاد) يملؤون عقول العامة بحكاياتٍ عن بطولات الملك وتضحيات الحاشية والنيروسيين القدامى. كما يكررون قصصًا عن مخلوقات أسطورية كانت تقتل الأوبجازيين ولكن الملوك والحاشية قتلوهم وخلصوا الشعب من شرهم. وأيضا يملؤون عقولهم بحكاياتٍ عن المخلوقات

التي تسكن سطح الأرض والتي تريد قتل الأوبجازيين وسرقة الخير الذي يعيشون فيه ولكن الملك والحاشية يقفون لهم بالمرصاد.

كانت تتمنى چومانا أن يكون هذا المكان لتعليم الشعب تعليمًا حقيقيًّا. ولكن الحكيم محتوب أخبرها ذات مرة أن الشعب الجاهل سهل الانقياد ولذلك فهم يريدون أن يتعلم كل أوبجازي ما يعمل به فقط.

استمرت چومانا بالمشي بوتيرةٍ بين الإسراع والمشي بتمهلٍ وعيناها تنظران خلسة دون تحريك رأسها حتى لا تلفت النظر إليها.

كان الشحاتون يملؤون الطرقات الجانبية البعيدة عن الحراس لأنه إن تم القبض عليهم فسينتهي بهم الأمر معلقين وسط السوق حتى الموت. كان الحراس يتركونهم طالما لم يجلسوا في الطرقات الرئيسية ولم يتضايق من وجودهم أحد من النيروسيين.

كانت محلات بيع الأقمشة الأقرب للمبنى الحكومي تحتل يمين ويسار السوق وبعض الطرق الجانبية أيضًا، تلتها محلات السجاد ثم محلات الشعر المستعار وتلوين الشعر وتزيينه ثم محلات الطعام المخصصة لبيع الخضروات واللحم تلتها محلات البهارات ثم النجارة.

وقبل أن تصل إلى وجهتها، عبرت چومانا ساحة الأمان، وهي أبعد ما تكون عن الأمان. ففي وسط الساحة رأت چومانا أربعة أشخاص معلقين وتحتهم بركة حمراء قانية من دمائهم. ثلاثة مُعلقين من أيديهم والأخير من قدميه. كان ثلاثة منهم قد ماتوا وبدأ بعض العامة الأشد فقرًا وبعض (الغولز) يقطعون أجزاءً من أجسامهم ليطبخوها.

كان صوت أنين الأخير يصل إلى أذن چومانا ولكنها كانت تعلم أنه لا أحد يستطيع الاقتراب منهم ولا حتى أقاربهم. ومن يبدي فقط تعاطفه فسينتهي به الحال معلقًا مثلهم. كان سلوى أهاليهم الوحيد هو أن المُعلق سيموت سريعًا خلال يوم أو اثنين على أقصى تقدير ولن يتعذب لأشهر في سجن الثعبان.

كان هناك بعض الحراس يقفون ليتأكدوا من عدم اقتراب أحد لمساعدة هؤلاء المساكين. وكان هناك أيضًا بعض الأوبجازيين يقفون على مسافة ليست بعيدة، توقعت چومانا أنهم من أقارب الرجل الأخير الذي لا يزال يأن، لأن الأقارب عادة ما يقفون حتى يتأكدوا من أنه لن يقطع أحدٌ جزءًا من أجسادهم وهم أحياء.

كان هناك شخص آخر يكرر:

- (لا تقتربوا من أعداء الشعب) وهو من وزارة الاعتقاد ويطلقون عليه اسم المذياع.

كانت چومانا وكذلك كثير من الأوبجازيين يعرفون أن هؤلاء المعلقين ربما يكونون ضحية وشاية من أحد أو أنهم من الشحاذين وربما لا ذنب لهم إطلاقًا إلا أن حظهم العاثر قادهم لأن يختارهم الحراس ليعلقوهم فقط ليثيروا الرعب في قلوب الأوبجازيين. كان من يتم تعليقه يبدأ في سب الملك والحاشية والحراس والنيروسيين ثم الاعتذار ثم السب ثم الاعتذار وهكذا حتى يفقد قوته تمامًا.

وأخيرًا وصلت چومانا إلى المنطقة الخاصة بالحدادين، كان صوت الطَرق على المعادن ورائحة الدخان يحرق أنفها ولكنها ظلت تمشي حتى وصلت إلى هدفها وهو سادس محل على يمينها.

كان الحكيم محتوب قد أخبرها ذات مرة أن القدماء شكلوا مسارات للدخان تصعد للسطح وتقوم بتسخين نبع ماءٍ يطلق عليه سكان الأرض العلويون العين الساخنة. وأنه لولا هذه المسارات لما كان هناك محلات حدادة.

صرخت چومانا ليسمعها فابكيراع الذي توقف عن عمله ومسح عرقه.

تهللت أساريره عندما رأى چومانا واقفة أمام مدخل الورشة قائلًا:

- چومانا الجميلة، كيف حالك صغيرتي؟

كان (فابكيراع) ضخم الجثة ومفتول العضلات حتى إن المطرقة الضخمة تبدو كلعبة في يده. كان منشغلًا بطرق الحديد لتشكيل بعض الأسلحة وأحد مساعديه ينظف والآخر ينقل بعض الأغراض ولم ترَ أحدًا من الباقين.

قالت چومانا:

- بخيرٍ حتى الآن، أريد أن أتحدث معك

أشار فابكيراع حوله:

- ليس الآن، أنا مشغول قليلًا كما ترين، هل يمكننا تأجيل الحديث لوقت آخر؟

هزت چومانا رأسها بالنفي:

- لا يمكن.

قال فابكيراع وهو يضع المطرقة أرضًا:

- حسنًا ولكن أسرعي فعندي عمل كثير.

قالت: لا يمكن الحديث هنا، ولن أسرع فلدي الكثير لأقوله، سأنتظرك بطريق المزارع عند المدخل الغربي للسوق، عند الكهف الذي كنا نتقابل عنده مع الجميع.

قال وهو يقطب حاجبيه:

- أظن أن الأمر جاد، اسبقيني وسآتي خلفك.

انطلقت چومانا وأخذ هو يوزع المهام على مساعديه ثم انطلق إلى حيث يلتقي بجومانا، لم تمضِ ساعة حتى كانا يقفان معًا أمام الكهف عند سفح أحد الجبال المنعزلة عن العيون.

أخرج فابكيراع حقيبة بها بعض الطحالب ليزيد إضاءة المكان وهو ينظر حوله قائلًا:

- نحن لم نأتِ هنا منذ زمن، ما الأمر العاجل الذي تريدينني فيه؟

قالت چومانا:

- لا تضئ هنا فلا نريد لفت الأنظار ولكن يمكننا إضاءة باطن الكهف.

دخل إلى باطن الكهف قائلًا وهو يضع بعض الطحالب على الحائط:

- هذا الكهف جاف، ولذلك دائمًا ما تموت الطحالب فيه.

ثم أضاف بعد أن انتهى:

- الآن قولي لي، ما الأمر الطارئ الذي تريدينني فيه؟

جلسا على الأرض وقصت عليه كل شيءٍ بدءًا من اصطياد فاطمة وظهور خالد داخل الممر وحتى اللحظة الحالية وبعد ان انتهت قال لها فابكيراع:

- أنتِ ميتةٌ لا محالة.

قالت:

- لن يكون أنا من سيموت، بل دكتاس.

انعقد حاجباه الكثان وهو يقول:

- فيمَ تخططين؟

قالت له: ما قلته لكم جميعًا سابقًا، لن يعيش الأوبجازيون بكرامةٍ إلا عندما نقتل الملك دكتاس.

قال فابكيراع: أنتِ مجنونة.

قالت: أنا ميتةٌ لا محالة، فإن كنت ميتةً لا بد، فسأموت لأعطي حياةً كريمةً للأوبجازيين.

ظل فابكيراع صامتًا للحظات ثم وقف وبدأ في قطع المكان جيئةً وذهابًا ثم قال: هذا الموضوع لا يمكننا التحدث فيه بمفردنا، يجب استدعاء الباقيين.

قالت چومانا وهي تقف هي الأخرى: الحكيم محتوب موافق مبدئيًّا، وسيتحدث اليوم مع مساعد رئيس الحكماء مانكيم، وسأدعك تبلغ الباقين أننا سنتقابل هنا ليلًا بعد انتهاء الديكاد الثاني وتكون أنت قد انهيت عملك أيضًا عندما يبدأ الأوبجازيون في التوجه إلى حفر نومهم.

قال فابكيراع:

- سأرسل أحد المساعدين لاستدعاء الباقين ولا تتحركي من هنا حتى أعود.

قالت:

- لن أذهب إلى أي مكان، ولكن أعطني الطحالب فسأحتاج للإضاءة بعد أن تذهب.

أعطاها الطحالب ثم قام راجعًا إلى السوق ولكنه توقف عند مدخل الكهف ونظر إليها ثانية وهو يضم شفتيه قائلًا:

- أنتِ مجنونة وميتة لا محالة.

ثم غادر الكهف.

*****

كانت چومانا منشغلة في القراءة من قاموس الجمل العربية عندما تناهى إلى مسامعها صوت خرخشة بعض الحجارة. انتفضت مسرعةً إلى مدخل الكهف ولكنها استعادت هدوءها عندما رأت أن القادم هو (فوايت)، أحد ثلاثة قادة من الأوبجازيين الذين يتشاركون معها نفس الأفكار والأراء.

كان فوايت أكثر الأوبجازيين الذين تعرفهم أناقةً فهو دائم الاهتمام بملابسه ورائحته، كما أنه متحدثٌ لبقٌ جدًّا حتى إن الكثيرين يظنونه من النيروسيين لكثرة اختلاطه بهم في أعماله ولأنه الوحيد الذي تعرفه تزوج من النيروسيين. كان هناك دائمًا لمحة من الحزن على وجهه لأن زوجته (فردالين الجميلة) هجرته وذهبت لتعيش مع أهلها من النيروسيين وأخذت معها طفليه (باري) ذي الأربع سنوات و(نيبراخ) ذي العشر سنوات. حاول مصالحتها كثيرًا ولكن باءت كل محاولات الصلح بالفشل مع أنه من أغنى الأوبجازيين ويعيش في بيتٍ كبيرٍ يطل على المزارع ولديه خدم أكثر من بعض النيروسيين.

قالت چومانا:

- أنت دائمًا أول الحاضرين.

قال فوايت وهو يمسك عصاه البيضاء -كبشرته- والمزركشة بالذهب وبعض الأحجار الكريمة والتي يمسكها كعلامة على الوقار والرفعة:

- هكذا أنا دائمًا يا چومانا.

ابتسمت چومانا من طريقته قائلةً:

- هل معك شيءٌ لآكله ونحن ننتظر الآخرين؟

قال مبتسمًا:

- طبعًا، أنا لا أنسى أنك دائمًا جائعة.

ثم أخرج بعض الفاكهة قائلًا:

- هذا ما استطعت شراءه في هذا الوقت القليل.

أخذت چومانا كل ما كان معه وبدأت بالتهامه دون أن تنظر إليه أو تشكره، ثم قالت بعد أن انتهت:

- ما اسم هذا الشيء؟

قال فوايت:

- اسمه ماجابروناس.

قالت وهي تلعق أصابعها:

- حسنًا، سننتظر الآخرين ثم نبدأ.

قال لها: هل تجدين في نفسك الرغبة لتخبريني لماذا دعوتِنا إلى هذا الاجتماع الطارئ؟

قالت چومانا:

- انتظر حتى يأتي الآخرون.

صمت فوايت قليلًا ثم بدآ يتحدثان في أمورٍ عامةٍ لربع ساعةٍ أخرى حتى جاءهم صوت أقدام قوية فقال فوايت: هذا أكيد سيبلاك.

دخل عليهم (سيبلاك) وهو على النقيض من فوايت، فهو أسود البشرة تبدو عليه قسوة الحياة. جلد يداه سميك كعمال المزارع وملابسه مرقعة مثل عمال الحفر.

كان سيبلاك عليه لمحة من الحزن أيضًا فقد تزوج بعد قصة حب عنيفة ولكن ماتت زوجته (ميناع) عند ولادة طفلهما الأول والذي لحق بأمه بعد ساعات من ولادته.

كان سيبلاك يعيش في حفرة مميزة لا يسكنها إلا قواد الأوبجازيين ومراقبين المزارع فقط. ولديه غرفة كبيرة بمفرده ولكن بعد وفاة زوجته طلب من صديقه "مانريد" أن ينتقل للعيش معه.

قال فوايت فاتحًا ذراعيه كمن يستقبل صديقًا حميمًا:

- أنت دائمًا متأخر عن موعدك عزيزي سيبلاك.

رد سيبلاك بعنف:

- أنت لا تعمل شيئًا فوايت ولذلك يمكنك أن تأتي وقتما تشاء.

قال فوايت:

- أنا أعمل كثيرًا سيبلاك ولكنني أحافظ على ملابسي.

قال سيبلاك بصوتٍ غاضب:

- لا تتحدث عن ملابسي ثانيةً حتى لا أفتح رأسك وأكل ما بها على العشاء.

ابتسمت چومانا ولكنها لم تتدخل في الحوار.

فقال فوايت:

- حسنًا صديقي العزيز، لن أتكلم عن ملابسك الجميلة الرائعة لأني أريد الاحتفاظ برأسي وما بداخلها.

قال سيبلاك:

- هذا أفضل، والآن ما هذه الرائحة؟

قال فوايت:

- إنها فاكهةٌ أحضرتها لجومانا يا عزيزي سيبلاك.

قال سيبلاك:

- هل أنهيتها كالعادة أم بقي منها شيء؟

قالت چومانا وهي تمط شفتيها أسفًا:

- إنه لم يطلب مني أن أترك منها شيئًا، آسفة.

قال سيبلاك:

- لا عليك يا چومانا، سأتذوقها في وقت لاحق.

ثم أضاف: هل يمكن أن تعطينا نبذةً عن الموضوع الذي تريديننا فيه؟

قالت چومانا: الأفضل أن ننتظر حتى يأتي الآخرون.

لم تنهِ قولها حتى سمعت صوت أقدام أخرى فتحرك سيبلاك إلى مدخل الكهف ورجع قائلًا:

- إنه مانريد.

دخل عليهم مانريد بوجهه المليء بالتفاؤل وبشرته المائلة إلى الحمرة ووجهه المشرق وكأن ابتسامةً دائمة مطبوعةٌ على وجهه.

كان (مانريد) متوسطًا في كل شيء، فبينما فوايت أبيض البشرة وسيبلاك أسمر البشرة، كان مانريد ذا بشرةٍ ما بين البني والبرتقالي مع شعر كستنائي. كان يُقال إن سبب لون بشرته وشعره أنّ أحدًا من أسلافه أكل كثيرًا من الطحالب المضيئة.

قال مانريد بهدوء: أرى أن كلاكما هنا ولم يقتل أحدكما الآخر.

ابتسمت چومانا قائلةً: لم يفعلا لأنني هنا.

قال مانريد: جيدٌ أنكِ هنا وإلا كنا سنجد أحدهما يأكل الآخر.

قال فوايت بوقاره المعتاد ويداه تستندان على عصاه المذهبة:

- عزيزي مانريد، أنا أقدر صداقة عزيزي سيبلاك، وإن كان هناك خلافٌ بسيطٌ في بعض الأمور الجانبية فنحن نتفق على كل الأمور الأساسية المهمة.

قال سيبلاك وهو ينظر إلى فوايت: قل لي شيئًا واحدًا نتفق عليه.

قال فوايت: نحن نتفق على.... إمممم.... حب اللحم على سبيل المثال.

قال سيبلاك:

- نعم، اللحم الذي أتذوقه كل عشرين يومًا وأنت تأكله كل ساعة.

قال فوايت:

- عزيزي سيبلاك، لا أحد يأكل اللحم كل ساعة وإلا لن يجد وقتًا للفاكهة والنوم.

هنا تدخّل مانريد في الحوار مبتسمًا وهو يقول:

- هل يمكن أخذ هدنة في هذا الحوار، والآن أين الباقون؟

جاءهم صوت من مدخل الكهف قائلًا: أنا هنا.

التفتوا ناحية مصدر الصوت فقال صاحب الصوت بصرامة:

- يجب أن تتعلموا أن تكونوا أكثر انتباهًا من هذا.

قالت چومانا بسعادة: بروتان، لم نسمع حتى وقع أقدامك.

كان (بروتان) قوي البنية جدًّا وكأنه صخر يتحرك على قدمين. يعيش بمفرده في غرفة خاصة قريبة من بيت قائده (حالوف). كان له أخ اسمه (أمارتين) ولكنه انتقل إلى المدينة الوسطى منذ سنين طويلة.

قال بروتان ذو البنية القوية والوجه الصارم:

- لذلك قلت إنكم يجب أن تكونوا أكثر انتباهًا من هذا.

قالت چومانا: هل وجدت صعوبة في المجيء؟

قال دون ابتسامة: أنا من الحراس، لا أحد يجرؤ على سؤالي.

قالت: أقصد الاستئذان من رؤسائك.

قال بروتان: أنا أعمل مع القائد (حالوف) ولا أحد يجرؤ على سؤالي إلا هو، وعندما أقول إنني لدي بعض الأعمال الخاصة فلا أحد يعترض.

قالت: حسنًا، الآن لم يبقَ إلا براحت أخي وفابكيراع.

لم يمضِ وقت طويل حتى جاء براحت شقيق چومانا مع فابكيراع صاحب ورشة الحدادة.

جلس السبعة على الأرض في دائرة وفي وسطها وضعت چومانا بعض الطحالب على الأرض حتى تنير الاجتماع.

بدأت چومانا الحديث وحكت لهم كل ما حدث مع وصف كيف قاتل خالد الحراس الباقيين وتغلب عليهم بمفرده وعندما انتهت ران عليهم صمت طويل ثقيل.

كان بروتان صاحب البنية القوية والوحيد المتعاون مع چومانا من الحراس هو أول من بدأ الحديث قائلًا: ما المطلوب منا؟

چومانا: أولًا، هل توافقون على دعوة خالد للانضمام إلينا؟

قال فوايت وهو يضع يده على مقبض عصاته الملقاه على الأرض أمامه:

- هناك سؤالان يجب أن نجيب عليهما چومانا: ما الذي سيقدمه لنا إن وثقنا فيه؟ وما الذي سنقدمه له بالمقابل؟

چومانا: سأجيب عن السؤال الأول الآن وسأرجئ السؤال الثاني.

ثم أدارت نظرها لتقابل عيون الجميع:

- في البداية، لقد رأيته يقاتل الحراس ولم أرَ في حياتي من يقاتل مثله، لقد قتل ثمانية من الحراس قبل أن أفيق من صدمة رؤيته بيننا، إنه سريع وقوي، ثانيًا: لا يمكن تهديده، كل منا لديه صديق، أو قريب أو شخص ما يخاف عليه،

أما هو فلا يوجد إلا أخته وإن رجعت إلى العالم العلوي فسيكون حرًّا هنا، ثالثا: ليس لديه ماضٍ يضعف الثقة فيه ولذلك سيجتمع الأوبجازيون خلفه أو على الأقل لن يقاوموه.

أنهت چومانا كلامها وظلت صامتةً لبرهة ثم أضافت: أريد أن أسمع رأيكم.

قال فوايت بصوته العميق المعتاد:

- ما الذي يجعلنا نثق فيه، إذا اشتد الوضع فيمكنه أن يهرب إلى عالمه ويتركنا وربما يرشيه الملك أو أحد من الحاشية.

لم تعرف چومانا كيف ترد ولكن تدخل سيبلاك معارضًا فوايت كعادته:

- أرى ألا نتسرع بإبداء الرأي.

ثم توجه بحديثه إلى چومانا قائلًا: هل تحدثتِ معه في شيء؟

قالت: لا

قال: أرى أن تتحدثي معه في البداية وبناءً على حديثكما يمكننا أن نتناقش ثانية.

وافق الجميع على رأى سيبلاك فقال فابكيراع الحرفي الوحيد في المجموعة:

- سآتيكِ ببعض الطعام الجاف ليكفيكِ ونتقابل بعد ثلاثين يومًا من الآن. خلال هذه الفترة على كل منا أن يفكر في خطة التحرك للقضاء على الملك وبالطبع لا أحتاج أن أقول لكم إنه إن عرف أحد شيئًا عما قلناه فهذا معناه المكوث في سجن الثعبان حتى الموت.

قال سيبلاك:

- هل سمعت هذا فوايت؟ يجب أن تمسك لسانك.

كان أي حديث بين فوايت وسيبلاك يدفع الابتسامة إلى وجوه الجميع مهما كانت الظروف.

نظر إليه فوايت ولكن قبل أن يتكلم تدخل مانريد قائلًا:

- أصدقائي، رجاءً توقفوا عن هذه الحوارات الصبيانية.

صمت فوايت ثم رد بهدوءٍ ووقارٍ شديدين موجهًا حديثه إلى سيبلاك: شكرًا على النصيحة عزيزي سيبلاك، أعدك أن أتذكرها جيدًا.

أضاف فوايت موجهًا حديثه إلى فابكيراع:

- دع لي أمر الطعام لجومانا وبراحت، سأشتريه وأحضره لك في ورشتك وأنت عليك وصوله إليهما وقتما تشاء.

انفض الاجتماع وتحرك كلٌّ إلى مسعاه إلا چومانا وبراحت

قال براحت بعد رحيل الجميع:

- انتظريني هنا يا چومانا، سأذهب إلى غرفتنا وأحضر كل أغراضنا.

قامت من الأرض وهي تقول:

سآتي معك. الأغراض كثيرة ومعًا سنقتصر الرحلة إلى واحدة فقط.

*****

وصلت چومانا وبراحت قريبًا من حفرة رقم مائة وست وسبعين التي يقطنان بها. كان المكان مليئًا بذكرياتهما، ذكريات لعبهما مع أقرانهما، التسلق والأرجوحة والغميضة. ذكريات مع والدهما لافون وأمهما جندباد.

أخبرتها أمها ذات مرة أن والدها توفي في أثناء العمل ولكنها لم تصدقها. كانت صغيرة ولكن كانت هناك ذكريات مموهة عن ذلك اليوم الذي خطف الحراس فيه والدها. إنها تتذكر الخوف والاختباء وصراخ أمها ومقاومة أبيها ولكنها لم ولن تنسى أبدًا ابتسامته ولا أنها فقدت حنانه. ماتت أمها منذ سبع سنوات تقريبًا لتتركها وأخاها يواجهان الحياة معًا.

كانت غرف الأوبجازيين في حفر تحت الأرض، كل حفرة عبارة عن عدد من الطوابق. وبكل طابقٍ عددٌ لا يقل عن عشر غرف ولا يزيد عن عشرين غرفة. اقتربت من الحفرة حيث يجتمع الأوبجازيون للحديث بجانب الحفرة حتى يأتي موعد النوم فينزلوا إلى غرفهم، فهنا الإضاءة والهواء أفضل من الأسفل.

في أوقات قلة الحصاد، كان خدم الملك يوزعون حصص الطعام مجانًا على الأوبجازيين، ودائمًا ما يكون بجانبهم عمال من وزارة الاعتقاد لا يتوقفون عن مدح المالك والحاشية بينما الأوبجازيون الذين زرعوا وحصدوا هذا الطعام يقفون بالساعات في طوابير لأخذ نصيبهم.

اقتربت چومانا وبراحت من السلم النازل داخل الحفرة فنظر إليهم جيرانهم بلا مبالاة ثم أكملوا ما كانوا يتحدثون فيه. في أثناء نزولهما على السلم قرأت چومانا كثيرًا من الجمل التي كتبها عمال من وزارة الاعتقاد مثل:

(اصبروا على هذه الحياة لتلحقوا بآمون)

(إخناتون ينتظركم)

(نفرتاري تحبكم وأنتم أبناؤها)

(أنتم أبناء إخناتون)

(محبة إخناتون معكم)

مع بعض الصور التي تصور حياة جميلة بعد الموت.

كانت چومانا تتعجب دائمًا من كتابة تلك الأشياء هنا، فقليل من يستطيع القراءة من الأوبجازيين ومن يستطيع القراءة فلن يصدق هذا الهراء الذي يكرره عمال وزارة الاعتقاد.

وصلا إلى غرفتهما وطولها متران وعرضها متران، وحوائطها من الصخر من ثلاث جهات، بينما المدخل يغطيه شرائح من الشجر والجزور وسعف النخيل. قبل أن يدخلا غرفتهما قابلتهما جارتهما (نورلامب) والتي تعمل قابلة.

كانت (نورلامب) هي من ساعدت أمهم أثناء ولادتهما.

كانت امرأة طيبة القلب، ودائمًا ما تحنوا على چومانا وبراحت منذ وفاة أمهما فقد كانت بمثابة أمهما الثانية. كانت دائما تشاركهما الفاكهة التي تحضرها من عند النيروسيين، وهي الوحيدة التي أخبرتها چومانا أن حلمها أن تقتل الملك وأن تعيش في عالمٍ بلا خوف.

لم تعر (نورلامب) انتباهًا لكلام چومانا واعتبرتها حماسة شباب وستنطفئ وأيضًا لم تتحدث معها چومانا ثانيةً بعد أن حذرها أخوها من ذلك مذكرًا بما كانت تقوله أمهما وهما صغار: (لا تثقا أبدًا بعامة الناس ولا تفقدا حرصكما).

كانت نورلامب دائما ما تنصحها بأن تكون مثل باقي الفتيات وتتزوج وتبني عائلة جميلة كما فعل أبواها ولكن چومانا قررت منذ صغرها أن تغلق قلبها حتى لا تكرر مأساة أمها وأبيها.

سلّما على نورلامب ودخلا غرفتهما بعد أن أخبراها أنهما سينتقلان إلى غرفة أكبر في حفرة ثلاثمائة وسبعة عشر.

ما إن دخلت چومانا غرفتهما حتى هاجمتها الذكريات. كان لكل شبر في هذه الغرفة ذكرى. توقف نظرها عند ثقبٍ صغيرٍ صنعته في الحائط، كانت تتخيل أنها ستجد ذهبًا وتعطيه لأمها لينتقلوا إلى مكان أكبر ويأكلوا طعامًا أكثر.

تذكرت حين ضايق بعض الحراس أمها فهجمت على الحارس وأخذت تخربشه وتعضه فعاقبها الحراس بالضرب وحلق رأسها حتى الجلد كما يعاقبون الأطفال الذين يتم القبض عليهم لأي سبب. لم يؤلمها الضرب بقدر ما آلمها حلاقة شعرها وأخذت تبكي في الغرفة لساعاتٍ ورفضت أن تخرج منها لخمسة أيامٍ متواصلة إلا ليلًا لقضاء حاجتها فقط.

ظلت چومانا تنظر إلى الحوائط ودموعها تنهمر مع الذكريات التي سيتركونها خلفهما ويهربان.

أيقظها صوت أخيها وقد بدأ في حمل الأغراض فأخذت تساعده. لم تكن الأغراض كثيرة فحملا معظمها وتركا الباقي لجيرانهما.

تحركا خارجين من غرفتهما.

صعدا إلى أعلى مبتعدين، ولم ينظر أحد منهما خلفه.

*****

بعد يومين من انتقال چومانا وبراحت من الحفرة التي كانا يعيشان فيها، فوجئ الجيران بدخول أكثر من عشرين حارسًا مع قائدهم، ناشرين الرعب بين الأطفال والنساء والرجال وهم يفتشون الغرف كلها ويعيثون فيها فسادًا.

وقف قائد الحرس وظهره إلى غرفة چومانا وبراحت الخالية ثم قال بصوت جهوري جمد الدم في عروق الرجال قبل النساء والأطفال:

- سكوووت.

ران صمت مهيب على الجميع إلا من بكاء بعض الأطفال الذي ظل يتردد في أصداء الكهف حين أشار قائد الحرس إلى سيدة عجوز تجلس أمام إحدى الغرف مستندة إلى أحد الجوانب تنظر بخوف إلى الحراس وهي ترتعد، قائلًا:

- أحضروا هذه.

جرها اثنان من الحراس حتى رماها أمام قائدهما الذي قال بصوت عالٍ موجهًا حديثه إلى الجميع: أين چومانا وبراحت؟

كرر القائد ما قاله بصوت أعلى: قلت أين چومانا وبراحت؟

قالت السيدة العجوز وهي ترتجف تحت أقدامه: أخذوا أغراضهما منذ يومين وقالا إنهما سيتوجهان إلى غرفة أخرى.

قال القائد: أين؟

قالت وهي ترتجف: لا أعلم.

استل القائد سيفه قائلًا: قلت أين؟

قالت وهي تكاد تفقد وعيها: لا أعلم.

قال رجل وهو يرتجف: سنبحث عنها في كل مكان ونحضرها لك، نعدك، وإن لم نفعل فيمكنك فعل ما تشاء.

نظر إليه القائد فأوشك الرجل أن يذوب من الرعب.

قال القائد موجهًا حديثه للجميع: ستجدون رأسها عندكم غدًا وسنقطع رقبة واحد منكم يوميًّا حتى تجدوها.

ثم أشار إلى الحراس أن يأخذوا العجوز معهم وانصرفوا.

ساد الصمت بعد خروج الحراس إلا من صوت بكاء الأطفال فقال رجل موجهًا حديثه إلى الباقين كنعامة تحولت إلى أسد بعد زوال الخطر:

- سنبحث عنها في كل مكان حتى نجدها.

تكلم صوت أنثوي على استحياء: لكنها لم تؤذِ أحدًا.

التفت الرجل إلى مصدر الصوت وعيناه كجمرتين: أولادك أمْ چومانا وبراحت؟

صمتت نورلامب الواقفة أمام غرفتها ولم تدرِ ما تقول فهي تدري أن الحراس لن يتوقفوا عن تهديدهم حتى يجدوا براحت وجومانا.

قال الرجل: سنقسم أنفسنا أربعة أقسام، ولن نترك أي شبر في المدينة حتى نجدها ومن يجدها يسلمها للحراس وإياكم أن تهرب منكم.

أزاحت نورلامب -التي كانت تدافع عن چومانا- الستار عن مدخل غرفتها ثم قالت بصوتٍ منخفضٍ لابنتها المختبئة:

- اخرجي حبيبتي، لقد ذهبوا ولكنني أريدك أن تستعدي فسنغادر هذه الحفرة للأبد.

*****

في صباح اليوم التالي، وقبل أن يبدأ الضوء المنبعث من الطحالب في الازدياد، قالت چومانا لبراحت وهما يأكلان طعام الإفطار أنها ستذهب إلى خالد وفاطمة في المشفى. قبل أن تنطلق أمرت أخاها براحت ألا يتحرك إلا إذا كان هناك داعٍ شديد لذلك وأمرته أيضًا أن يقتصد في الطعام حتى يكفيه ما أحضره فوايت.

خرجت چومانا من الكهف متوجهة إلى المشفى متخذةً بعض الطرق الجانبية التي كانت تسلكها قديمًا للبعد عن مضايقات الحراس أو حينما تصطاد شيئًا تريده لنفسها ولأخيها فقط. على الرغم من عدم وجود أي أصوات إلا صوت أنفاسها وصوت بعض الحشرات التي لا تراها إلا أن چومانا تحركت ببطءٍ في الممرات المختلفة وهي تنظر حولها بين الحين والآخر حتى تتأكد أنه لا أحد يراها أو يتبعها.

تجمدت فجأة عندما تناهى إلى مسامعها صوت هامس، توقفت وهي تنصت أكثر، ثم تقدمت بحذر بحيث ألا تصدر أقدامها أي صوت. تقدمت ببطء وكفاها ملامسان الصخور الملساء حتى رأت مجموعة من الحراس يقفون على جانب الطريق في مكان لم ترهم فيه من قبل.

ظلت چومانا مختبئة مكانها للحظات ثم بدأت في التراجع بحذرٍ أكثر وعيناها لا تفارق الحراس ثم أعطتهم ظهرها وبدأت تسرع الخطى مبتعدة وهي تفكر في طرقٍ أخرى.

كان الطريق الآخر الذي يمكن أن يوصلها بعيدًا عن الطرق الرئيسية سيجعلها تسير أكثر من ساعتين إضافيتين. لم تجد بدًّا من أخذ الطريق الطويل حتى تتجنب الحراس.

بعد سيرٍ بين الجبال لأكثر من ساعة ونصف وجدت نفسها على بعد أقل من خمسة عشر مترًا من مجموعةٍ صغيرةٍ أخرى من الحراس، ثلاثة منهم نائمون واثنان منشغلان في الحديث.

توقفت چومانا ثم بدأت في الرجوع للخلف بحذرٍ بعيدًا عن الحراس والندم يقتلها على ضياع كل ذلك الوقت والجهد هباءً.

أخذت تعصر ذهنها في محاولة لتتذكر أي طريق آخر يمكن أن يوصلها ولكن دون جدوى. لم يكن أمامها حل إلا أن تتجاوزهم من فوقهم.

لم تكن المرة الأولى التي تفعل هذه الحركة فقد فعلت ذلك كثيرًا مع أخيها براحت وهم صغار، ولكن عندما كانوا صغارًا كان العقاب هو بعض السباب أما الآن فإن رآها الحراس فسيكون العقاب هو سجن الثعبان.

أمسكت سكينها الوحيد بفمها، ثم بدأت تتسلق الجبل حتى وصلت إلى ارتفاع خمسة عشر مترًا. بدأت تتحرك أفقيًّا ببطءٍ وهي تتأكد من موضع قدمها في كل خطوة حتى وصلت إلى فوقهم مباشرة.

كانت تتخيل أنهم يسمعون صوت دقات قلبها وأن أحدهم سينظر إلى أعلى في أي لحظة ويشير إليها ويقوم مع زملائه ليقبضوا عليها ويأخذوها إلى الحاشية ثم إلى قبو المبنى الحكومي ثم إلى تابوتٍ في سجن الثعبان.

أخذت تتخيل التعذيب هناك وهي تمشي خطوةً بعد خطوةٍ فوقهم. لم تجد مكانًا يمكن أن تضع فيه قدمها فاضطرت للنزول ثلاثة أمتار لأسفل حتى تستطيع إكمال طريقها.

رأت أحد الحراس يتثاءب ويرفع رأسه إلى أعلى. تسمرت مكانها لبعض الوقت ولكن خدمها الحظ عندما لم يلاحظها.

بدأت في التحرك ثانيةً حتى تخطت المنطقة التي يقفون بها بمسافةٍ كافيةٍ ثم نزلت إلى أرض الممر وأكملت السير دون أن تتوقف حتى لتلتقط أنفاسها.

بعد المسير لساعاتٍ أخرى وصلت إلى آخر الممر الموصل إلى الطريق الرئيسي، كان المشفى على بُعد خمسين مترا عندما لاحظت أن الحراسة كانت على غير المعتاد. ظلت چومانا واقفة مختبئة كالتمثال قريبًا من حافة الممر حتى حانت اللحظة المناسبة عندما تأكدت أنه لا أحد من الحراس يراها فانطلقت مسرعة إلى مدخل المشفى الجانبي حتى إنها اصطدمت بالحائط المقابل لذلك المدخل.

ما إن دخلت حتى انحرفت يمينًا وانطلقت مباشرة إلى الغرفة الموجود بها خالد وفاطمة. اتسعت عينا چومانا الواسعتين أصلًا عندما وجدت الغرفة خاليةً. نظرت يمينًا ويسارًا وخرجت في الممر بين الغرف لتتأكد من أنها لم تخطئ الغرفة. كان الغرفة هي ذاتها التي تركت بها خالد وفاطمة. اقتربت من الأغراض الموضوعة بركن الغرفة وأخذت تفتش فيها حتى وجدت بها ملابس خالد التي جاء بها. شعرت بالعالم يدور من حولها فخرجت مسرعةً من الغرفة وتحركت في طرقات المشفى ناظرةً إلى الأرض حتى تخفي ملامحها.

وجدت الحكيم محتوب واقفًا في إحدى الغرف يتكلم مع أحد المرافقين لأحد المرضى الراقدين على الأرض.

وقفت چومانا أمام الحكيم محتوب وظهرها لمرافق المريض بطريقةٍ فجة ثم قالت بصوت مبحوح: أين هما؟

أربك ظهورها المفاجئ الحكيم محتوب؛ فعقد حاجبيه وظل صامتًا

للحظات ثم قال ببطءٍ بعد أن هدأ قليلًا:

- في المرة القادمة لا تظهري من العدم هكذا فقد كدت تقتلينني.

كان القلق باديًا على وجهها وصوتها وهي تقول: آسفة، لكن أين هما؟

قال: ذهبا إلى (إيريحاد) لقضاء حاجتهما مع (نيرساري) وسيعودان بعد قليل.

قالت: هل تثق فيها؟

اعتذر الحكيم للمريض ومرافقه وقال وهو يخرج مع چومانا خارج الغرفة:

- أنا أثق في مساعدتي الشخصية كما أثق في نفسي، وأيضًا هي على علم بقصة خالد وهي من أقنعت الجميع أن "خالد" من حراس الحاشية وأنه هنا لأن أخته مريضة ولذلك يتجنب الجميع الحديث معه.

تنفست چومانا الصعداء قائلة: جيد، هذا سيجعل الكثيرين يتحاشونهما ويهابون الاقتراب منهما.

قال الحكيم محتوب:

- الآن يمكنك انتظارهما في غرفتهما لأن لديّ عمل أقوم به.

بعد نصف ساعة عاد خالد وفاطمة وانصرفت نيرساري وهي تقول بالأوبجازية: لم أفهم ما يقولان ولكن هذا الرجل دائم التذمر.

ابتسمت چومانا ولم ترد حتى اختفت نيرساري خارج الغرفة ثم قالت باللغة العربية: قلق عليكما.

قال خالد: قضاء الحاجة في إحدى هذه الحفر صعب للغاية، على المرء التصويب على الحفرة بالضبط وهذا صعب.

قال خالد الجملة بالكامل بالعربية إلا كلمة الحفر قالها بالأوبجازية

فابتسمت چومانا وفاطمة، وهنا قالت چومانا أريد تعلم العربية أفضل.

قالت فاطمة: يمكنني مساعدتك، فأنا أُفضّل أن أفعل شيئًا بدلًا من الحملقة في الحائط أربعة وعشرين ساعة، لقد حفظت أشكال وعلامات أصابع الناس على الحوائط.

ابتسمت چومانا قائلة: نبدأ، أعلمك أوبجازية.

نظر إليهما خالد دون أن ينطق شيئًا فقالت فاطمة مبتدأة أول درس:

- هناك تشابه كبير بين العربية والأوبجازية، لقد لاحظت أنكم تتكلمون بكلمات عربية مثل مخ وحيل ومعدة.

جلس خالد مسندًا ظهره إلى الحائط وهو يراقب فاطمة وچومانا تتحدثان.

استمرت المحادثة لساعات بالعربية مع استخدام بعض المصطلحات الأوبجازية التي أتقنتها فاطمة بسرعةٍ وبدأت تستخدمها في حديثها.

على الرغم من أن چومانا كانت تريد قتل فاطمة من مدة قريبة إلا أن العلاقة بدأت تتوطد بينهما، حيث كانتا تقضيان ساعاتٍ تتحدثان وتضحكان على أمورٍ خاصة بالفتيات مثل اللبس والشباب والجسم والجمال ومساحيق التجميل وأحيانًا تتحدثان عن الملك دكتاس وكيف هو وحاشيته يعاملون الأوبجازيين بقسوةٍ ووحشيةٍ.

تحدثت چومانا عن حلمها وعن العالم الذي تريد أن يعيش فيه الأوبجازيين.

فكر خالد في ترك أخته والرجوع لطمأنة أمه ولكن بعد التفكير قرر ألا يترك فاطمة بمفردها في هذا المكان.

ظل الحال هكذا لمدة شهر كامل وجومانا لم تغادر غرفتهم إلا مرتين

لتطمئن على أخيها وترجع ثانية.

انتشر خبر أن چومانا وأخاها قد نُفيا وانتشرت بعض الإشاعات أنهما وقعا في مستنقعات الرمال الساخنة وإشاعات أخرى أنهما قتلا أنفسهما.

مع الحديث المستمر بين چومانا وفاطمة تحول معظم التحدث من العربية إلى الأوبجازية. حتى لاحظ خالد أنه وأخته قد أصبحا يتحدثان الأوبجازية جيدًا، حتى وصل به الأمر أنه يحلم بها.

*****

تركت چومانا المشفى وعادت إلى الكهف الموجود به براحت عندما حان موعد الاجتماع التالي مع باقي الفريق.

سلكت چومانا الطريق الطويل نفسه الذي جاءت منه ولكنها لم تجد به حراسًا هذه المرة، وصلت إلى الكهف قبل الجميع لتجد أخاها يتدرب أمام الكهف على استعمال السلاح بمفرده.

ابتسم براحت الذي كان يتصبب عرقًا حين رأى أخته قادمةً فمشي إليها واحتضنها بشدة قائلًا: چومانا، لقد افتقدتك بشدة.

قالت چومانا: وأنا أيضًا أخي، أرى أنك لا تضيع وقتًا.

ثم ابتعدت قليلا وهي تشير إلى جسده: لقد تغير جسدك أيضًا، لقد أصبحت أقوى من ذي قبل.

ابتسم براحت وهو يزيح شعره المبلل بالعرق من على عينيه: أنت تقولين نفس ما كانت تقوله أمنا منذ أن كنت في الرابعة من عمري، ولكنني الآن أصدقك، فأنا لا أفعل شيئًا منذ الاستيقاظ إلى النوم غير التدريب، هل تريدين

أن تري بعض الحركات؟

قالت وهي تتوجه للحائط بجانب مدخل الكهف لتفسح له المجال: أرني.

ظل يضرب الهواء بسيفه ويقفز يمينًا ويسارًا وهو يقوم بعمل كل الحركات التي ظل يتدرب عليها.

قالت چومانا بفخر: من علمك كل هذا؟

قال براحت والعرق يتصبب من رأسه ووجنتيه: لقد كان بروتان يأتي كل فترة يعلمني بعض الحركات الجديدة ويتركني لأتدرب عليها.

ابتسمت چومانا وهي ترى أن الأمور تتغير حولها، وأن ما يحدث يوحي بأن هناك شيئًا ما سيقربها من تحقيق حلمها.

أخرجها براحت من الاسترسال في أفكارها: ماذا حدث مع خالد؟

قالت: للأسف، لم أستطع أن أفاتحه في شيء.

قال: لا عليك، ماذا عن لغتك العربية؟

ابتسمت قائلة: إنهما يتحدثان الأوبجازية جيدًا الآن.

صمت براحت قليلًا ثم قال: هذا غريب.

قال: ما هو الغريب؟

قال: لماذا يتعلمون شيئًا لن يستخدموه أبدًا؟

قالت: لا أعلم ربما من باب التغيير.

أكملا التحدث في أمور عامة حتى مرت الساعات واجتمع فريق المقاومة بالكامل دون الحكيم محتوب وجلسوا متحلقين حول كومة من الطحالب أحضرها مانريد معه.

كان فوايت قد أحضر معه بعض الفاكهة للجميع وبعد أن انتهوا من

تناولها بدأت چومانا الحديث قائلة:

- في البداية أود أن أقول شيئًا مهمًّا، كل منكم لديه حياة يمكن أن يعيشها، لا أحد منكم مطلوب من الحاشية غيري أنا وبراحت، ولذلك أطلب منكم أن تفكروا في الأمر ثانية فما نحن مقدمون عليه لا يوجد فيه تراجع.

صمتت قليلًا ثم أضافت:

- ولا أريد أيًّا منكم أن يفعل شيئًا لأجلي أو لأجل براحت، ربما نكون أصدقاء ولكن هذا لا يعني أن تخاطروا بأنفسكم وأحبائكم.

صمتت قليلًا لتختبر وقع كلماتها عليهم وعيناها تنتقل بينهم وبين كومة الطحالب المضيئة.

كان بروتان أول المتحدثين قائلًا:

- هل تظنين أننا لم نفكر في هذا؟ عن نفسي أنا أفكر في هذا ليلًا ونهارًا، أفكر فيه كل ساعة، أنا أعلم أننا سنقضي حياتنا في سجن الثعبان إن فشلنا، هذا إن لم نكن محظوظين وقُتلنا قبلها، ولكن دعيني أقول لك شيئًا، أنا أفضل الموت على أن أعيش مثل هذه الحياة.

وهنا قال فوايت: - أنا أيضًا أفكر في هذا كل يوم، وعندما أفكر في كم البؤس الذي يعيشه الأوبجازيون وكمية الحقارة التي اضطر لتحملها من النيروسيين والحاشية فإنني أتمنى الموت على أن أكمل حياتي هكذا.

ثم استدار ناظرًا إلى سيبلاك: ربما تروني محظوظًا لأني آكل وأشرب مثل النيروسيين ولكن هذا له ثمن فادح، ثمن أدفعه كل يوم من كرامتي وأنا لا أنوي أن أكمل هكذا.

قال فابكيراع: وأنا كذلك.

قال سيبلاك: ربما لا أتفق مع فوايت على أي شيء في الحياة ولكني أتفق معه في هذه النقطة.

قال مانريد: وأنا أيضًا أتفق مع الجميع، فرؤية الأوبجازيين يقاسون الذل والمهانة ورؤية الخوف في عيونهم تقتلني كل لحظة.

قال فابكيراع: أظن أننا جميعًا متفقون على ذلك، ولكن لماذا تقولين هذا الآن يا جومانا؟

قالت چومانا: لقد كان حلمي أن أقتل الملك دكتاس منذ الطفولة، منذ أن رأيت الحراس يخطفون والدي من بيننا ولم أرَه بعدها ومع كل مرة كنت أرى فيها دموع أمي. ولكن عندما بدأت الأمور تأخذ منحنى أكثر جدية.... لا أعلم..... شعرت أنه لا يجب أن تتورطوا في هذه المغامرة المحكوم عليها بالفشل.

قال بروتان: لماذا تتوقعين أن ينتهي الأمر بالفشل؟

نظرت چومانا في عينيه مباشرة وهي تنتظر أن يمدها ببصيص من الأمل:

- هل تتوقع أن ننجح؟

قال بروتان: لا، ولكن الأمور لن تكون مثل ما كانت، وستتغير بالتأكيد، ولا أظن أن الحال سيكون أسوأ من الآن.

شعرت وكأنه ألقي عليها بماء بارد ولكنها ابتسمت قائلة:

- كلماتك مشجعة بالفعل.

قال بروتان: إنها الحقيقة.... أو الحقيقة كما أراها.

صمت للحظات ثم أضاف: المهم الآن هي الخطة، ما هي خطتكم؟

قال فوايت: قبل أن نبدأ، هل فاتحتِ "خالد" يا چومانا؟

قالت: لا، لم أجد الوقت المناسب للحديث معه.

ثم أضافت: ولكي أزيل عنكم عناء السؤال، أنا لم أتطور أيضًا في العربية بل هما من تطورا في الأوبجازية.

قال بروتان: حسنًا، دعينا من هذا ولنبدأ بعرض خططنا الواحدة تلو الأخرى.

بدأ سيبلاك بعرض خطته وناقشوها ثم بدأ مانريد وهكذا حتى انتهوا جميعًا من عرض خططهم.

قال بروتان بعد ان انتهى الجميع:

- "أظن أن هناك بعض الأمور التي أرانا يمكن أن نتفق عليها.

أولًا: نبدأ بتقليب الناس على الحاكم وإخبار الناس بخفاء مرة وثانية وثالثة أننا يجب أن نعيش مثل النيروسيين وأننا من نزرع ونصنع كل شيء وهم لا يفعلون أي شيء إلا أخذ حصاد تعبنا.

ثانيًا: اختيار من يكون لديه الشجاعة والمقدرة على مشاركتنا فيما نريد ويكون أيضًا قادرًا على كتمان السر.

ثالثًا: اختيار أماكن للتدريب، فيمكنكم أن تدعوه لي فأنا أستطيع اختيار مكان لا يستطيع حتى الحراس الوصول إليه".

أكمل فابكيراع:

- هذا جيد، وأيضًا سنحتاج بعض المال لشراء سلاح وطعام أثناء التدريب ولأي مستلزمات أخرى.

قال فوايت: لا أظن أن ما لدي سيكفي الجميع ولكن يمكننا أن نسطوا على بعض بيوت الحاشية أو النيروسيين وأخذ ما بها للصرف على التدريب.

چومانا: هل هناك طريقة أخرى للحصول على الأموال؟

بروتان: يمكن السطو على أحد مخازن المال.

فوايت: إنها مؤمنةٌ جيدًا على ما أظن.

بروتان: بالفعل ولكن دعنا نناقش ذلك لاحقًا.

قال براحت والذي تحدث لأول مرة منذ أن انتهى من عرض خطته:

- نحن ما زلنا نناقش تحضير الهجوم على الملك ولكن ما هي خطة الهجوم نفسها، أين سنهاجم وكيف ومتى؟

بروتان: هذا يعتمد على عدد من سيجتمع معنا وعلى تسليحنا وخلافه وبناءً على ذلك يمكننا أن نعد خطةً أكثر تفصيلًا.

أكملوا الحديث لفترة أخرى ثم انفض الاجتماع مع وعد باجتماع آخر بعد ستين يومًا بالضبط وانطلق كل منهم إلى عمله إلا چومانا التي بقيت مع أخيها براحت.

*****

رجعت چومانا إلى المشفى في اليوم التالي واستمرت في تعلم العربية وتعليم خالد وفاطمة الأوبجازية حتى أصبح كل من خالد وفاطمة يتحدثانها كأحد الأوبجازيين تقريبًا.

كانت تمر الأيام برتابة دون أي جديد إلا تلك اللغة التي يتعلمها خالد وفاطمة. حتى الطعام لم يتغير عن طعام الأوبجازيين المعتاد من منقوع نباتات وأعشابٍ إلا ما كان يحضره لهم الحكيم محتوب أحيانًا من اللحوم من مزارع طعام النيروسيين أو السمك المشوي والذي يطلقون عليه سمك على نار.

أحضرت لهم چومانا مرة بعضًا من لحم القوارض والزواحف التي يأكلها

الأوبجازيون إذا وصلت أيديهم إليها ولكن خالد وفاطمة لم يتقبلاها.

وخلال تلك الفترة شرح لهما الحكيم محتوب كثيرًا من الأمور عن حياة الأوبجازيين، فمثلًا (الغولز) وهم فئة أقل ذكاءً من باقي الأوبجازيين يعيشون في أماكن بمفردهم ولا يتزوجون أبدًا من خارجهم. هم طيبون في العادة، ويعملون في المزارع فقط أو يستخدمهم الحراس ولكن لا يعملون في التجارة أو الصناعة.

أخبرهم أيضًا أن الملك دكتاس هو الحاكم ومعه ستة وزراء. وزير حماية الملك ووزير المعلومات والتحكم ووزير الأمان ووزير المزارع والماء ووزير الأموال ووزير الاعتقاد. شرح لهما مسئولية كل وزارة منها. وأخبرهم أيضًا أن الحكماء وضعهم أفضل من الأوبجازيين كثيرًا ولكنهم ليسوا أغنياء كالنيروسيين، وأن أبناء النيروسيين يتعلمون لدى الحكماء ولكنهم ليسوا شغوفين بالتعليم لأن حياتهم سهلة. وأخبرهما أيضًا أن بعض الأوبجازيين يعتبرون بعض الحكماء سحرة ولكنهم فقط بارعون في الهندسة والكيمياء.

وعرفا أيضًا أن هنا يتم قياس اليوم تبعًا لشدة الضوء. تكون الطحالب أشد ضوءًا مع الظهر فوق سطح الأرض وينخفض ضوؤها مع الليل. أما بالنسبة لقياس العام فيقوم الحكماء بحساب ثلاثمائة خمس وستين يومًا وكل أربع سنوات يزيدون يومًا.

وحكت لهما چومانا عن الظلم المتفشي بين الأوبجازيين حتى إنهم يمكن أن يشوا ببعضهم البعض لقاء مكانة وهمية أو حظوة لدى رئيسهم أو حتى بدافع الخوف فقط. قصت عليهما كيف أن رئيس المزارعين في أحد المزارع مع أنه من الأوبجازيين مثلهم إلا أنه يعاملهم بالسوط ليتقرب من صاحب الأرض من النيروسيين وقصت عليهما أنها ذات مرة رأت شخصًا يكرهه كل زملائه بسبب

تملقه الدائم للنيروسي صاحب المزرعة. اتهم هذا الشخص زميلًا له بسب الملك حتى لا يرد له ما اقترضه منه، والشخص المسكين مات معلقًا في السوق. ومرة وشي أحد الخدم بالآخر ليحصل على وظيفته لأخيه وانتهى الأمر بالمسكين أيضًا معلقًا في السوق.

مع توطد العلاقة والحديث اليومي وزيادة تمكن خالد وفاطمة من اللغة الأبجازية أخبرتهما چومانا في اليوم الخمسين عن ما يخطط قادة المقاومة لفعله.

قال خالد بصوتٍ جافٍّ وهو جالسٌ يسند ظهره للحائط بينما فاطمة وچومانا يجلسان بجانب بعضهما على الحائط المقابل له: ستكونون حمقى إن ظننتم أنكم ستغيرون شيئًا.

كان رد خالد مخيبًا لأمل چومانا فقالت وحاجباها يعانقان بعضهما البعض: لماذا تقول ذلك؟

قال خالد باقتضاب وبنبرة صوت لم تسمعها چومانا من قبل: نفس الأحلام السخيفة بنفس الحماقة.

تدخلت فاطمة في الحديث قائلة: حدث شيء عندنا مختلف قليلًا عما تريدونه وكان من ضمن الحالمين اثنان من أصدقاء خالد.

قالت چومانا وقد زاد فضولها: ماذا حدث لهما؟

قالت فاطمة وهي تتحاشى النظر لأخيها: قُتل كلاهما.

قال خالد بغضب: لا أريد الحديث عن هذا الموضوع.

قالت چومانا: أنا آسفة لما حدث لأصدقائك، لا بد أنك حزين من أجلهم.

رد خالد بحدة وهو يقوم ليقف بجانب مدخل الغرفة: قلت لا أريد الحديث عن هذا الموضوع.

قالت فاطمة بصوت خفيض: لقد حزن عليهما كثيرًا ولكن ما مضى قد مضى، دعينا من الحديث في هذا الأم.ر

سألت چومانا موجهة حديثها إلى فاطمة: لماذا يغضب هكذا؟

أشارت إليها فاطمة أن تسكت الآن ثم قالت مغيرة الموضوع:

- كم عددكم چومانا؟

قالت چومانا: نحن الآن تسعة فقط، أنا وأخي وثلاثة أوبجازيين وأحد الصناع والحكيم محتوب وواحد من الحراس، وهناك مساعد رئيس الحكماء أيضًا ولكنه لا يتدخل في أي شيء.

فاطمة: جيد، أنتم بذرةٌ جيدة.

چومانا: نحن لدينا هدف مشترك.

ترددت لفترة ثم سألت بصوت منخفض وهي تشير إلى خالد:

- هل يمكن أن يساعدنا؟

قبل أن تجيب فاطمة، قال خالد دون أن يلتفت:

- لقد سمعتكما، بالطبع لا، هذه حماقة وأنا لا أتعاون مع حمقى.

لم تتكلم چومانا فقالت فاطمة بعد مدة من الصمت وبصوتٍ منخفض لا يسمعه غيرهما: دعيني أسأله بمفردنا.

قامت چومانا من جلستها على الأرض قائلة: سأذهب لإحضار بعض الطحالب وأعود بعد قليل.

ظل خالد واقفًا لمدة ثم تحرك وجلس في مكانه المعتاد وظهره مستند

للحائط، فقامت فاطمة وجلست بجواره لاصقةً رجلها برجله ثم وضعت رأسها على كتفه لفترة.

وضع خالد يده على كتف أخته وضمها إليه.

ظلت فاطمة ساكنةً لفترةٍ ثم اعتدلت لتكون بمواجهة خالد ثم قالت:

- لماذا لا تريد أن تساعدهم؟

نظر إليها خالد بخواء قائلًا:

- ولماذا أساعدهم، نحن لا نعيش هنا، ما إن تتحسني حتى نعود إلى بيتنا.

قالت فاطمة: أسباب المساعدة كثيرة.

قال: مثل ماذا؟

قالت فاطمة وهي تنظر في عينيه مباشرة:

- "أولًا، كان يمكن أن نكون نحن هنا وأنت لا ترضى أن أكون أنا مكانها.

قال خالد: ولكنك لست مكانها.

أكملت متجاهلةً مقاطعته لها:

- ثانيًا، نحن مسلمون والإسلام يأمرنا بالدفاع عن المستضعفين.

قال: أنا أقسمت على حماية بلدي وأهلها عندما كنت في الجيش ولم أقسم على حمايتهم هم.

قالت: بدفاعك عنهم ستمنع استمرار خطف البشر العلويين وبذلك ستحمي أهل بلدك.

ظهرت چومانا عند المدخل مع نهاية قولها فقالت:

- يمكننا إعطاؤك بعض المال.

قال خالد بغضبٍ:

- لقد كنتِ تتصنتين، أليس كذلك؟ على كلّ إجابتي هي لا.

قالت چومانا وصوتها بين الرجاء والبكاء:

- أنت مقاتلٌ جيد، سيكون لك تأثير كبير معنا.

قال خالد: لن أغير رأيي فلا تضيعي وقتك. ولكن أخبريني، لماذا تريدون شخصًا من البشر العلويين معكم؟

نظرت چومانا إلى الأرض ثم قالت بأسى:

- بعد عقود من الفساد أصبح الفساد أمرًا طبيعيًّا ولا أحد قادرٌ على تغييره، كل من يحلم بالتغيير قد مات أو مات حلمه، أما أنت فدماءٌ جديدةٌ وأيضًا قدراتك القتالية لا يباريك فيها إلا خواص حراس الملك والحاشية.

تدخلت فاطمة في الحديث قائلةً: دعيه الآن يا چومانا فلن يغير رأيه الآن.

صمتت چومانا وظلت تحدق في خالد لفترة.

دخل عليهم الحكيم محتوب والذي لاحظ تعبيرات وجوههم فسأل: لماذا تبدون هكذا؟

قالت چومانا وقطرات من دموعها تنساب على وجنتيها: لا شيء، أظن أنني كنت حمقاء بعض الشيء.

قال الحكيم محتوب مبتسمًا: وما الغريب في هذا؟

لم تبتسم چومانا لدعابته فتنحنح قائلًا: آسف، لم أقصد أن أضايقك.

قال خالد بصوتٍ جاف: متى نستطيع الرجوع إلى بيتنا أيها الحكيم؟

قال محتوب: لقد تماثلت أختك للشفاء تقريبًا، ويمكنكما العودة في أي وقت.

قال خالد: سنعود الآن.

ابتلعت چومانا ريقها ثم قالت وهي متوجهةٌ إلى الباب دون أن تنظر خلفها:

- سأنصرف الآن، آسفة على كل شيء فعلته يا فاطمة.

ثم انصرفت.

قال الحكيم محتوب: أنا لم أرها هكذا من قبل.

ثم أردف: سأحضر لكما من يخرجكما ويرجع بكما إلى الممر الذي جئتما منه ولكن لن يكون هذا قبل الغد، استريحا الآن وسأعود إليكما غدًا.

*****

في صباح اليوم التالي أحضرت نيرساري مساعِدة الحكيم محتوب بعض الملابس النظيفة والمماثلة لملابس الأوبجازيين ليرتديها خالد وفاطمة أثناء رجوعهما، وجاءت لهما بحقيبةٍ ليضعا ملابسهما القديمة فيها.

قال له الحكيم محتوب والجميع واقفون في الغرفة:

- سأفتقدك يا خالد، ربما لم نتحدث كثيرًا ولكنك شخصٌ ممتع الحديث معه وكنت أتمنى أن أدعوك للبقاء هنا ولكن.... المكان هنا ليس مكانًا جيدًا للحياة.

خالد: أنا أتفهم مشاعرك وأشكرك كثيرًا على الاعتناء بأختي حكيم محتوب. ولكن لدي سؤال، ماذا سيحدث للممر إلى بيتي؟

قال الحكيم: لقد تم تدمير كل البيانات والمخطوطات التي تؤدي إلى بيتك وكأنه لم يكن.

قال خالد: وهل سيتم إغلاقه؟

قال محتوب:

- ليس الآن وليس في المستقبل القريب، في العادة يتم إغلاق آخر جزء قبل السطح فور الإيقاع بالفريسة ولكن هذا لم يحدث في حالتك لأنك قتلت كل الحراس المفترض أن يقوموا بسده. ولكن بسبب ظروفك الاستثنائية قمت بالتعاون مع بعض الأصدقاء من الحراس بتدمير كل ما يدل على وجود هذا الممر أصلًا وفي المستقبل سنتدبر أمر إغلاقه حتى لا يتم كشفه صدفة.

قال خالد: إذًا فهو الوداع.

قال محتوب: بالطبع يمكنك الرجوع فلا أظن أننا سنتمكن من إغلاقه قبل عامٍ من الآن ولكن احذر فمن السهل أن تضل طريقك وسط التشعبات الكثيرة.

كانت فاطمة منشغلةً في ترتيب بعض الأشياء الصغيرة التي أعطتها لها چومانا كهدايا حين قال خالد:

- حسنًا أظن أنه حان الوقت لأقول وداعًا.

قال محتوب: كنت أتمنى أن أقول إلى اللقاء ولكني أظن أن وداعًا أكثر واقعية.

انطلق خالد مع فاطمة ونيرساري مساعدة الحكيم محتوب خارجين من المشفى ومشى معهم الحكيم حتى تخطوا الحراس المحيطين بالمشفى.

دخلوا في الممر المقابل للباب الجانبي وظلوا يسيرون فيه لدقائق حتى قابلوا شابًّا صغيرًا تبدو عليه ملامح النباهة وعرَّفه الحكيم محتوب باسم (فاخنار).

قال الحكيم قبل أن يرجع مع المساعدة:

- هذا هو الدليل الذي سيقودكما إلى بيتكما، طريق العودة سيكون أطول بكثيرٍ من طريق المجيء حتى تتجنبا الحراس. وبالمناسبة، فاخنار قليل الكلام.

شكره خالد وفاطمة وسلما عليهما بحرارةٍ قبل أن ينصرفا مع الدليل.

قالت فاطمة بعد فترةٍ من الصمت لم يقطعه إلا صوت أقدامهم وأنفاسهم:

- لا أعلم لماذا، ولكنني سأفتقد هذا المكان وأنا أفتقد چومانا بالفعل.

ابتلع خالد ريقه ولم يجب فأضافت فاطمة وهي تمسح الحائط بيدها:

- هل تعلم يا خالد، ما كنت أتمنى أختًا أفضل من چومانا، إنها مرحة بالفعل.

قال خالد: هل تقولين ذلك بعد كل ما فعلته بك؟

قالت فاطمة: أنت تعلم أنه ليس بيدها حيلة وأنه لولا الذي يعيشون فيه لكانوا مثلنا.

لم يجب خالد واستمرا في المشي لفترة خلف الدليل وفاطمة ترسم على الحائط كل فترة حتى لا تشعر بالملل بينما خالد ظل غارقًا في صمته.

أما دليلهما (فاخنار) فلم ينبس ببنت شفة طوال الطريق إلا ليسألهما إن كانا يريدان بعض الماء أو الراحة أو شيئًا آخر.

استمرت رحلتهم لساعاتٍ طويلةٍ تخللتها بعض فترات الراحة الكثيرة التي طلبتها فاطمة حتى وصلوا إلى الممر الموجود بآخره جيف الحراس وعندها استئذنهما الدليل ليرجع.

استمر خالد وفاطمة بالتحرك بمفردهما حتى استقبلتهما الرائحة النتنة

لتحلل جثث الحراس.

أمر خالد أخته أن تغطي أنفها وألا تنظر إلى الجثث ولكنها لم تستطع أن تمنع فضولها ولا أن تبعد عينيها عن الجيف. اجتاحها شعور متضارب بين الاشمئزاز من منظر الجثث والفرحة في الانتقام ممن آذوها.

كانت الجثث متحللةً والدود فوقها وحولها فأجبرت فاطمة نفسها على الإسراع حتى تخطيا الجثث وبدآ في السير داخل الممرات الداخلية حتى وصلا إلى قاع الحفرة الموصلة إلى غرفة الصرف الصحي ببيتهما.

طلب خالد من فاطمة أن تنتظره وتسلق هو راجعًا إلى غرفة تجميع الصرف الصحي أو ما يسمى بالطرنش ثم تحسس طريقه حتى رفع الغطاء خارجًا منها.

أخذت فاطمة تنظر إلى أعلى حتى اختفى خالد عن نظرها.

بدأت تنظر حولها وهي تتخيل أن الجثث التي قتل خالد أصحابها ستأتي زاحفة نحوها الآن.

اقشعر جسدها فوضعت يديها على ذراعيها وكأنها تحتضن نفسها لتبعث فيها الدفء والاطمئنان.

ظهر بريق نورٍ خفيفٍ حين فتح خالد غطاء غرفة تجميع الصرف فظلت فاطمة تنظر إلى الأعلى منتظرة أن يرجع خالد إليها.

لحسن حظه لم يرَ أحدٌ "خالد" وهو يخرج من غرفة الصرف. تحرك مسرعًا وأخذ يبحث فوق لوحة الكهرباء حتى وجد المفتاح الاحتياطي لبيتهما. حمد الله في سره وفتح الباب مسرعًا ليجد البيت فارغًا كما توقع.

بحث في البيت حتى وجد حبلًا فرجع به وربطه في عمود البيت ثم أنزل

طرفه الآخر في غرفة الصرف.

قفز داخلها حتى أوصل الطرف إلى فاطمة وساعدها على التسلق راجعين معًا إلى بيتهما بالدور الأرضي.

قالت فاطمة بمجرد أن خرجت من غرفة الصرف الصحي:

- هل أمي هنا؟

قال خالد وهو يعيد إغلاق غرفة الصرف:

- لا، ولا أظن أن خالي (سالم) كان سيدعها تعيش هنا بمفردها وأغلب الظن أنه أخذها لتعيش معه منذ أن اختفينا.

قالت وهي تدخل من باب شقتهم: أريد أن أستحم وأتصل بأمي فأنا أفتقدها بشدة.

ثم أضافت وهي تقف على السجاد:

- لم أعرف أن السجاد بهذه النعومة.

قال خالد وهو يجلس ولا يزال مرتديًا ملابس الأوبجازيين:

- سأستحم بعدك وأنام، ونكلمهما بعد أن نستيقظ بإذن الله.

بعد ما يقرب من الساعة وقف خالد أمام باب الحمام وهو يجفف شعره:

- ما هذه الرائحة؟

ردت فاطمة من داخل المطبخ: وجدت بعض المكرونة فقمت بسلقها وسأرش عليها الملح والفلفل، بالطبع تفتقدها أليس كذلك؟

قال خالد وعيناه تدور في أرجاء المطبخ: بلى، ولكنني سأنام الآن وسآكل حين أستيقظ.

قالت وهي تضع بعض المكرونة في طبقها: سآكل فأنا جائعةٌ بشدة.

أكلت فاطمة طعامها وهي تمني نفسها بنومٍ طويلٍ على مرتبة بدلًا من نوم الأرض الذي اعتادت عليه خلال الثلاثة شهور الماضية.

أنهت المعكرونة وظلت تنظر إلى أجزاء غرفتها وتتلذذ بملمس السرير والراحة التي تريد أن تمتصها لتعوض النوم على الصخور. كانت تتوق للراحة فغرقت سريعًا في النوم ونام مخها هو الآخر دون أحلام حتى الصباح.

*****

جاء يوم الاجتماع الثاني مع قادة المقاومة وبدأ الاجتماع بالكلام نفسه الذي ذكرته چومانا المرة السابقة ولكنّ الباقيين لم يدعوها تكمل مؤكدين أن الحلم مشترك بينهم جميعًا.

قالت چومانا:

- كم عدد من تثقون فيهم واستطعتم إقناعهم بالانضمام إلينا؟

فوايت: أنا وسيبلاك ومانريد استطعنا تجميع خمسة وسبعين رجلًا وثلاث نسوة.

قال فابكيراع: وأنا معي ثلاثة صناع فقط ولكنهم من أمهر الحرفيين.

قال بروتان: أنا ليس معي إلا صديقين لي ولكنهما قويان وماهران. الواحد منهما بعشرة.

قالت چومانا بتهكم: هذا رائع، أقل من مائة في مواجهة عشرين ألف.

رد بروتان بشيءٍ من الحدة: لماذا تتحدثين بهذه الطريقة چومانا؟ هل كنتِ تظنين أنه سينضم لنا الآلاف بمجرد أن نخبرهم أننا لدينا حلم أن ينتهي الظلم الواقع عليهم.

حاولت چومانا الكلام ولكن العبرة خنقتها فأخذت تبكي وهي تخفي وجهها في كفيها.

احتضنها أخوها براحت قائلًا:

- أنت تحت ضغطٍ شديد يا چومانا. وإن أردتِ ألا تكملي فلن يرغمك أحدٌ على فعل شيء ضد رغبتك. يمكننا أن نكمل حياتنا في الجبال وأعدك أنني سأبذل قصارى جهدي لتجديها ممتعة.

ابتسمت بحزنٍ ولكنها لم تتكلم.

قال بروتان:

- آسف جومانا. ولكنها الحقيقة، الناس لا تقتنع بالأحلام. إنهم لن ينضموا إلينا إلا إذا فعلنا شيئًا يجذبهم ويولد لديهم نفس الأمل الذي لدينا. وأيضا هناك الكثير الذين يخافون من التغيير أكثر من إحساسهم بالظلم.

قالت چومانا:

- آسفة، إنه فقط... لا شيء.

قال فوايت:

- رفض الرجل العلوي الانضمام إلينا؟

أشارت بوجهها أي نعم.

قال فوايت وهو يحك لحيته السوداء: هذا طبيعي جدًّا، فهو ليس منا ليشاركنا، لقد جاء هنا على عكس رغبته وسيرجع إلى السطح ليكمل حياته.

لم تستطع أن تتحمل أكثر فانفجرت في البكاء وخرجت مسرعةً إلى خارج الكهف فتبعها براحت كظلها.

قال فوايت بعد أن تركتهم چومانا وبراحت: لقد أحببته.

نظر إليه الباقون ولكن لم يعلق أحد منهم على كلامه وظلوا جالسين منتظرين أن تهدأ جومانا.

ظلت چومانا تبكي لما يزيد عن ربع الساعة، وأخوها يقف بجانبها حتى سكتت، فقال لها براحت بعد أن هدأت:

- هل أنتِ أفضل الآن؟

قالت وهي تمسح دموعها: نعم، دعنا نعود إلى الباقين.

رجعا معًا وقالت چومانا بمجرد أن جلست وبصوتٍ جافٍّ وكأنه قد فقد سوائله في الدموع: آسفة لما حدث.

قال فوايت: صوتك أفضل الآن. يمكننا.....

قاطعته چومانا مغيرة الموضوع:

- أظن أن أفضل يوم للهجوم هو عيد الحصاد.

عقد بروتان حاجبيه والتفت إلى چومانا وهو يقول:

- عيد الحصاد هو أكثر أيام السنة تأمينًا، عدد الحراس الذين يقومون بتأمين الملك يوم عيد الحصاد أكثر من خمسة آلاف وهناك خمسة آلاف آخرون يقومون بتأمين الوزراء وقيادات الحاشية.

قالت چومانا: ولكنه اليوم الوحيد الذي يرى الأوبجازيون فيه الملك، أظن أن مهاجمة الملك يوم عيد الحصاد أفضل من مهاجمة القصر.

قال بروتان وهو يتوجه بنظره للباقين: لنأخذ الآراء، هل توافقون على مهاجمة الملك يوم عيد الحصاد؟

قال سيبلاك: أظن أن تأثير ذلك سيكون أكبر على الأوبجازيين.

وافقه كل من فوايت ومانريد ثم وافق الباقون تباعًا.

قال بروتان: حسنًا، الآن تم تحديد يوم الهجوم وعدد قواتنا وسيتم بناء الخطة على ذلك.

قالت چومانا: يوم الحصاد بعد خمسةٍ وأربعين يومًا.

ثم توجهت بحديثها إلى بروتان قائلة: هل ستكفي هذه المدة للتدريب.

قال بروتان: هذا يعتمد على الخطة، ربما نستغل بعض الأفراد لإثارة البلبلة أو التغطية على الهجوم، أما القتال المباشر حول الملك فلن يقوم به الكل لأنه ببساطة لن يستطيع الجميع الوصول إلى الدائرة المحيطة بالملك.

قالت جومانا وهي ترسم بيدها دائرة تخيلية على الأرض:

- كم تظن عدد من يمكنهم الوصول إلى هناك؟

قال بروتان: لا أعلم، ولكن ليس أكثر من خمسة أو عشرة بالتأكيد، لأنه ما إن يلاحظ الحراس أننا نحمل أسلحة سينطلقون لحماية الملك وعندها ستكون المعركة الفاصلة.

ابتلعت جومانا ريقها وعاودتها الرجفة في قدميها وهي تتخيل الأسلحة والقتل حولها. استعادت ثباتها بسرعة وهي تقول:

- إذًا يجب أن يتم اختيار أفضلنا.

قال بروتان وهو يدير عينيه إلى الجميع قائلًا:

- سنحاول أن نصل إلى الملك بأكبر عددٍ ممكن وإن لم يحالفنا الحظ فستبدأ المعركة قبل أن نصل إليه.

قال مانريد: هذا ليس سيئًا، فضربةٌ واحدةٌ كافيةٌ للقضاء عليه.

قال بروتان: الوصول إليه ليس سهلًا، وحتى إن وصلت إليه فالحراس المحيطون به هم أفضل الحراس على الإطلاق، يتم الاعتناء بتدريبهم وطعامهم لسنوات ولا هدف لحياتهم إلا حماية الملك فقط.

قالت جومانا: حسنًا، أظن أن الأفضل أن نهاجم جميعًا في وقتٍ واحد.

صمت بروتان للحظات ثم قال موجهًا حديثه لجومانا: أنتِ صيادة يا جومانا ولا تستطيعين القتال.

ردت جومانا بقوة: أمامي خمسةٌ وأربعون يومًا لأتدرب وأنا سريعة الحركة أيضًا بل ويمكنني القول إنني أسرعكم على الإطلاق، كما أنه لا يمكن لأحد أن يمنعني.

صمت بروتان قليلًا وفكر أن يجادل چومانا ولكنه عدل عن ذلك. ثم قال وهو يخطط على الأرض:

- حسنًا، كما تعلمون فإن الاحتفال يكون في ساحة النصر وهي ذات خمسة مداخل، اثنان لدخول الأوبجازيين من الجهة الجنوبية، واثنان لدخول النيروسيين من أقصى يمين وأقصى يسار الجهة الشمالية، وممر آخر في الجهة الشرقية وهو أيضًا مخصص لدخول النيروسيين، يجلس الأوبجازيون في الجهة الجنوبية فقط ويجلس النيروسيون في الجهة الشرقية والغربية، أما الجهة الشمالية فهي للملك والحاشية. كل الممرات مؤمنة وبالطبع حول أماكن الأوبجاز والنيروسيين، وأشد الأماكن تأمينًا هو أمام وحول الملك والحاشية

قالت چومانا وهي تنظر إلى التخطيط الذي رسمه بروتان على الأرض:

- وكيف يشاهد الملك الاحتفالات؟

رفع بروتان حاجبيه وهو يقول: ألم تذهبي إلى هناك أبدًا؟

قالت چومانا مبتسمة: حاولت مرة أنا وبراحت الذهاب، ولكنهم منعونا.

قال بروتان وهو يشير إلى الجزء الشمالي من المخطط الذي رسمه على الأرض: عرش الملك يقبع في كوة داخل الجبل على ارتفاع يعادل خمسة أمثال طولك تقريبًا.

قالت چومانا وعيناها لا تفارقان ذلك المخطط: وكيف يصعد إلى هناك؟

قال بروتان وهو يشير إلى جانبي موقع عرش الملك على المخطط:

- يوجد سلم على كل جانب وعند نهاية السلم يجلس مجموعة من الحاشية.

قالت وعيناها تضيقان: وكيف سنصل إليه؟

قال بروتان وهو يدير عينيه في وجوه الجميع:

- هذا هو السؤال الصحيح، هل يمكن أن نسمع اقتراحاتكم؟

ظل الجميع يلقي باقتراحٍ تلو الآخر والآخرون يفندونه. استمر الحال هكذا لبعض الوقت حتى قال مانريد:

- أقرب الأوبجازيين إلى الملك هم ضمن فرق الاستعراض.

قال بروتان: نعم، هذا صحيح ولكن إذا خرجت خطوة واحدة خارج المكان المخصص للاستعراض سيوقفك الحراس.

سأل براحت: من أين يدخل العاملون بالعروض؟

قال بروتان وهو يشير إلى الجزء الشمالي الغربي من المخطط وقد فهم ما يرمي إليه براحت:

- إنهم يدخلون من الممر الشمالي الغربي ويمرون بين صفين من الحراس حتى يصلوا إلى ساحة الاستعراض.

قال سيبلاك الجالس بجوار فوايت ليظهر تناقض لون بشرتهما واضحًا كالليل والنهار: نريد شيئًا يثير الفوضى ويشغل الحراس حتى نستطيع الاقتراب من الملك.

قال فوايت ويده تداعب عصاه بطريقة لا إرادية:

- يمكن أن نثير الأوبجازيين لتخطي الحراس والوصول إلى أماكن الاستعراض.

قال بروتان بازدراء: لا تتوقع منهم شيئًا.

قال فوايت: سنجذبهم إلى هناك، ما رأيكم أن نلقي بعض العملات في ساحة العرض وهذا سيجذبهم بالتأكيد.

هزت چومانا رأسها اعتراضًا وهي تقول:

- خوفهم من الحراس سيتغلب على حبهم للمال.

قال فوايت: يمكن أن ننشر سرًّا قبل العرض أن الملك أمر برمي المال في وسط العرض كنوع من الاحتفال وأنه سيأمر الحراس بترك الأوبجازيين يمرون ليأخذوا العملات من على الأرض ثم يرجعوت إلى مكانهم.

قال بروتان ببطء: إنها فكرة مقبولة.

تحدث فابكيراع لأول مرة:

- أظن أن الفكرة جيدة إلى حد ما لإثارة الفوضى، ولكن ماذا بعد ذلك؟

قال بروتان: بعد ذلك مواجهة الحراس مباشرةً للوصول إلى الملك.

صمتوا جميعًا متذكرين قوة الحراس وتدريبهم وهنا تذكرت چومانا خالد ثانية وتمنت لو أنه لم يخذلها ولكنها أزاحت الخاطرة عن رأسها قائلة:

- سيكون هدفنا هو الملك نفسه، من يجد فرصة للوصول إليه فلا يتردد.

ثم أردفت بعد مدة صمت:

- إذا نجحنا في مسعانا أو وجدنا أنه قد فشلنا فعلى الباقين الهروب والرجوع إلى مكان التدريب أو هنا ومن ثم الانتقال إلى كهفٍ آخر لأنه في حالة القبض على أحد فسيعترف على الباقين.

قال بروتان: حسنًا. الآن سننقسم إلى فريقين، مانريد وفوايت وسيبلاك وفابكيراع... عليكم نشر الإشاعة عن النقود وسط الأوبجازيين بصورةٍ تنتشر وكأنها سر، أما أنا وچومانا وبراحت سنقتحم بيت سلعود.

قال فابكيراع: سلعود!!! هذا رائع، إنني أمقت هذا الرجل منذ أن وطأت قدماي السوق. كل العاملين في السوق يكرهونه، إنه يأخذ تعبنا دون حق، إما

أن يكون شريكًا في عملك أو لن يكون لك عمل. العام الماضي حاول أحد الصناع أن يعترض على الأموال التي ندفعها لرجال سلعود دون وجه حق، ثاني يوم وجدوا رأسه على طاولة بمنتصف السوق ولم يجدوا باقي جسده.

قال بروتان وهو ينهي الاجتماع:

- أظن أن كل منا لديه عمل الآن، اذهبوا لتستريحوا ولنتقابل غدًا في نفس الموعد.

*****

بحث خالد في كل الأدراج في دولابه ومكتبه وفي غرفة والدته عن تليفونه المحمول حتى وجده. أوصله بالشاحن ثم جلس مع فاطمة في صالة البيت بعد أن تأكد أن الهاتف قد بدأ يتقبل الشحن.

قالت فاطمة وهي تنظر إلى خالد:

- ماذا ستقول لهم عن تغيبنا؟

مط خالد شفتيه وهو يقول: أنا لم أتوقف عن التفكير ولا أجد حلًّا، بالتأكيد لن نقول لهم إننا كنا مخطوفيْن تحت الأرض وبالطبع لم نكن نقضي أجازةً في الريفييرا.

قالت فاطمة وهي تشير بالسبابة: وأيضًا لم نكن مخطوفين من عصابة ما، لأن هذا سيثير تساؤلات وسيجذب الشرطة.

خالد: الحل الوحيد هو أن نطمئنهم علينا ونقول لهم أن يتصرفوا وكأننا لم نغب ولا يبلغوا أحدًا بعودتنا.

قالت فاطمة: هل أثر وجودك تحت الأرض على دماغك، بالطبع لن يقبلوا بهذا الكلام. ولكن دعنا من أمي وخالي الآن، ماذا ستقول لهم في عملك؟

قال خالد بغضبٍ غير مبرر: أنا لا أعمل لدى أحد، أنا أعمل عندما أريد وفي الوقت الذي أريده.

أشاحت فاطمة بيدها وهي تقول: أنا أفهم هذا، ولكن صديقك الذي يتصل بك ويبلغك أن هناك عملًا مع شخص ما، ماذا ستقول له عن فترة تغيبك؟

قال: سأبلغه أنني فضلت أن أقضي فترة في عزلة حتى أعيد ترتيب حياتي.

قالت: ألن يغضب؟

قال خالد بشيءٍ من اللا مبالاة الممتزجة بالفخر: سيغضب بالتأكيد. ولكنني لا أهتم لأي أحد، هناك كثير من الحراس الشخصيين ولكن ليسوا كثيرين من كانوا في قوات الصاعقة.

قالت فاطمة: آمل ألا يؤثر غيابنا على علاقاتك بعملائك.

ثم أضافت بشيء من الحماسة: بالمناسبة يا خالد، أريد أن أراك وأنت تعمل يومًا ما.

قال خالد: عملي ليس كما تظنين، أنا أقضي معظم الوقت أقف بجانب العميل أرتدي نظارةً سوداء وأنظر حولي إن كان هناك خطر ما.

قالت وقد اعتلاها قليل من خيبة الأمل: فقط؟

ابتسم قائلًا: لا أحد يجرؤ على مهاجمة عملائي إلا مجانين المعجبين. وهؤلاء لهم طريقة معاملة خاصة سأكلمك عنها لاحقًا، المهم الآن هو الاتصال بأمك فقد شحن هاتفي بما فيه الكفاية.

وقف خالد وأمسك الهاتف بترددٍ ثم جلس على الكرسيّ ثانية وهو يرمي الهاتف على الأريكة المجاورة له قائلًا: لا أعلم.

قالت فاطمة وهي تعيد الهاتف لأخيها: لا تعلم ماذا؟

لم يجب سؤالها وظل صامتًا لبرهة ثم قال وهو يقف: تعالَي، سنتحدث إليهما ونحن في الطريق، الأفضل أن نتكلم معهما وجهًا لوجه.

لم تمضِ ساعتان حتى وصلا إلى بيت خاله بشبرا، قالت فاطمة بعد أن نزلت من السيارة الأجرة: الحياة صاخبةٌ وسريعةٌ جدًّا هنا، أسرع بكثير مما هي عليه هناك.

قال خالد مبتسمًا: كل شيءٍ أسرع من حيوان الماندور.

قالت فاطمة وهي تنظر إلى مدخل العمارة: هل فكرت أن تخبر الناس الحقيقة، أقصد عن وجود عالمٍ آخر تحت الأرض.

قال خالد: أولا سيتهمونا بالجنون، ثانيًا هذا سيكشف أمرهم وفي هذا خطرٌ على وجودهم.

ثم أكمل: ولكن فكرة أننا كنا مخطوفين هي فكرة جيدة. دعي لي التفاصيل وأنا سأتكفل بها.

مطت فاطمة شفتيها وكأن الكلام لم يعجبها ولكنها قالت: هذا كلام أفلام ولكن تصرف كما تشاء.

قال خالد وهو يطلق زفيرًا بصوتٍ عالٍ وكأنه يريد إخراج توتر أعصابه مع الهواء الخارج: على بركة الله.

ثم اتصل على رقم والدته ولكن الهاتف كان مغلقًا. حاول عدة مرات دون فائدة فقام بالاتصال بخاله.

بعد ثوان رد خاله سالم: خالد!!!!!!!

قالد خالد: نعم يا خالي، أنا خالد.

قال سالم: أين أنت يا خالد؟ وأين فاطمة؟

قال خالد وهو يتحرك نحو مدخل العمارة وفاطمة بجانبه: نحن تحت منزل حضرتك وسنصعد حالًا.

قال سالم والقلق ينضح من كلماته: هل أنتم بخير؟

قال خالد: نعم، نحن بخير وسنصعد الآن، أين أمي؟ هاتفها مغلق.

تردد خاله سالم للحظات ثم قال: اصعد وسأحكي لك، أنا منتظرك.

دب خوفٌ غريب في صدر خالد: سنكون عندك في ثوانٍ.

سألت فاطمة: ماذا حدث؟ أليست أمي فوق؟

قال خالد وهو يعيد هاتفه لجيبه: لا أعلم ولكن كلامه أصابني بالقلق.

بعد ثوانٍ وصلا إلى الدور الثالث الذي يقيم فيه خاله، وما إن وصلا إلى ذلك الدور حتى وجدا خالهما أمامهما وهو يهجم عليهما ويحتضنهما بشدة.

مرت لحظات طويلة وخالهما يحتضنهما ودموعه لا تفارقه بينما ظل خالد وفاطمة صامتيْن.

قال زوجة خالهما سالم بعد مدة: دعهما يدخلان يا سالم.

مسح خالهما عينيه وهو يقول: ادخلا. دعونا نتحدث بالداخل.

مشي خالهما وهو واضعٌ يديه على كتفيْ خالد وفاطمة وكأنه يخشى أن يفقدهما ثانيةً، وبعد أن دخلا واستراحا وسلما على أبناء خالهما الكثيرين قالت فاطمة وهي تتلفت حولها: أين أمي؟

ابتلع خاله سالم ريقه، ومقلتا عينيه تتراقصان وكأنهما تخشيان البوح.

كرر خالد السؤال ثانية فقال خاله سالم: لله ما أعطى ولله ما أخذ وكل شيءٍ عنده بمقدار. فاتقوا الله واصبروا.

لو استطاعت الكلمات البكاء لاستطاع قلمٌ أن يصف الحزن الذي أصاب خالد وفاطمة. ولكن لا كلمات تستطيع وصف تلك المشاعر ولا حروف تشرح ذلك الألم. ألمٌ يقتل الإنسان من الداخل، ألمٌ مصدره كل ذرةٍ في جسد الإنسان، ألم لوح الزجاج وهو يتكسر إلى مئات القطع، ألم وكأن الإنسان يتنفس من ثقب إبرة.

دفنت فاطمة وجهها في يديها واجهشت بالبكاء وهي تقع على أقرب كرسي لها بينما ظل خالد صامتًا وهو يجلس بدوره على الكرسي المجاور لها غير

مستوعب ما حدث. بدأ عقله يلومه على اتخاذ قرار بقائه بالأسفل. كان لا بد أن يترك أخته في رعاية الحكيم محتوب ويعود ليطمئن أمه.

استمر الندم ينهش في قلبه ولحمه، حاول التماسك ولكن دموعه خانته. بكى لدقائق ثم أجبر نفسه على التوقف حتى تستمد أخته قوتها منه فالآن لم يبقَ لها في هذا العالم غيره.

أخذت زوجة خاله وبناتها فاطمة إلى إحدى الغرف وبقي خالد مع خاله وأبنائه وهم يواسونه.

استمر الحال ما بين بكاء وحديث نفس وجلد للذات لا يقطعه إلا صوت المروحة المتهالكة حتى وصلت الساعة إلى الرابعة عصرًا. وتحت إلحاح خاله وزوجته وافق خالد وفاطمة أن يأكلا معهم.

بعد الغداء تحدثا عن فترة ما قبل وفاة والدتهما، وتجنب خالهما ذكر أي شيءٍ خاص بحزنها عليهما حتى لا يزيد من ألمهما.

وبعد ذلك أمر خاله أولاده أن يتركوهم هو وزوجته بمفردهما مع خالد وفاطمة ثم سألهما على استحياء عن ماذا حدث وأين اختفيا تلك الفترة الماضية.

قال خالد: سأحكي لكم كل شيءٍ بالتفصيل ولكن ما سأقوله يجب أن يبقى سرًّا.

ثم أخذ يؤلف ويحكي لهم كيف تم اختطافه مع فاطمة وكيف نجحا في الهرب لاحقًا.

استمر الحديث لفترة تخلله كثير من الأسئلة وبكاء فاطمة المتقطع.

قال خاله سالم وهو يمسح عرقه: هل أبلغتما الشرطة؟

قال خالد بقوة: لا، ولن نفعل.

تغيرت تعابير وجه خاله سالم: لماذا؟

قال خالد: أولًا لا يوجد أي دليل، ثانيًا أنا عملي هو حماية الناس فكيف سيكون تأثير ذلك على العمل إن عُرف أنني لم أستطع حماية نفسي.

قال سالم: أنا أتفهم هذا ولكن يجب إبلاغ الشرطة حتى لا يؤذونكم ثانية.

قال خالد: لن يستطيعوا، لقد أخذت احتياطاتي جيدًا.

قال سالم: ما زلت أرى أنه من الأفضل أن تبلغا الشرطة وحتى يتم إغلاق القضية.

قال خالد بحدة: لا، لن نبلغ الشرطة، ولن يفعل أحد. الموضوع انتهى ولن نفتحه ثانية.

تعجب سالم من أسلوب ابن أخته الجاف ولكنه أرجعه لما يمر به حاليًا.

ظل الحديث مستمرًّا حتى قبيل منتصف الليل. وقبل الانصراف حاول خالهما أن يجعلهما يبقيان للصباح ولكن خالد وفاطمة تحججا بأشياءٍ كثيرة واعتذرا بأدبٍ لعلمهما بضيق الشقة وبكثرة أبناء خالهما.

*****

تحرك بروتان وچومانا وبراحت متوجهين إلى بيت (سلعود) سالكين ممراتٍ بعيدةٍ وغير مأهولة. وعلى الرغم من ذلك اضطروا لتغيير طريقهم أكثر من مرة ليتجنبوا الحراس.

قالت چومانا وهي تنظر حولها بعد أن ظلت تمشي لساعات: أين نحن الآن؟

قال بروتان وهو يبطئ من حركته: سنصل إلى الممر المؤدي إلى المنطقة الموجود بها بيت سلعود بعد بضع ساعات أخرى.

ثم قال: هل رأيتم بيت نيروسيين من قبل؟

قالت چومانا بنبرة صوتٍ جافة: نحن من الصيادين ولسنا من الخدم.

قال بروتان: ستعرفين لماذا يحب النيروسيون الملك عندما نصل، وبالمناسبة فإن بيت سلعود ليس كأي بيت، إنه من أغنى النيروسيين وأكثرهم نفوذًا.

أكملوا السير وچومانا تتخيل ما يمكن أن يكون شكل بيته من الداخل. كانت تتخيل ألوان الطعام وأشكاله، بالتأكيد مثل ما كان يحضره فوايت أحيانًا، موضوع بآنية من الذهب والنساء جميلات ويلبسن ملابس مطرزة ويستخدمن أدوات تجميل كثيرة كالتي تسمع عنها.

أخذ خيالها يسبح بعيدًا وهي ترسم صورة لحياة النيروسيين التي ستراها بعد قليل.

لم تشعر بالساعات تمر حتى قطع بروتان تخيلها قائلًا وهو يشير إلى ممر متفرع جهة اليسار: نهاية هذا الممر ستؤدي إلى بيت سلعود، ولكن سنضطر إلى تسلق الجبل والمشي على ارتفاع كبير نسبيًّا حتى نتفادى الحراس.

تسلقوا حتى ارتفاع عشرين مترًا تقريبًا ثم أخذ ثلاثتهم في المشي لساعات وهم يرتفعون قليلًا أو ينخفضون قليلًا تبعًا للطريق المتاح. كانوا يرون في الأسفل بعض النيروسيين يحملونهم أربعة أو ستة من الأوبجازيين كعادتهم في التنقل لمسافاتٍ متوسطة، أما في المسافات الطويلة فعادة ما يأخذ النيروسيون عرباتٍ يجرها حيوان الماندور.

أكملوا التحرك صامتين ثم قال بروتان فجأة بصوت منخفض: توقفوا.

كاد قلب چومانا يتوقف، فأمامهم وعلى نفس ارتفاعهم وعلى بُعدٍ أقل من ثلاثين مترًا كان هناك أربعة من الحراس يتسامرون.

قالت چومانا بصوتٍ منخفض: لماذا يجلسون على هذا الارتفاع؟

قال بروتان هامسًا: حتى يمنعوا أي أحد من التسلل من أعلى الجبل كما نفعل الآن.

ثم نظر إلى الطحالب ليحدد الوقت قائلًا: سيبقون هنا حتى غدًا صباحًا وعندها تأتي مجموعةٌ أخرى تحل محلهم.

قال براحت: هل يوجد طريقٌ آخر؟

قال بروتان: لا يوجد طريق آخر. سنهاجمهم ولكن يجب أن نجد خطة فلا نريد أن نلفت انتباه من بالأسفل.

توقفوا لأكثر من ربع ساعة في مكانهم يراقبون الحراس الأربعة. ثم قال بروتان وهو يشير إلى صخرة يجلس الحراس مسندين ظهرهم لها:

- سنمشي واحدًا تلو الآخر حتى نصل إلى تلك الصخرة ونختبئ خلفها وبعد أن نصل إلى هناك سنهاجمهم معًا، لا تضربوا في البطن أو الأطراف. اضربوا لتقطعوا الرقاب. وتذكروا أن صرخة واحدة يمكن أن تفضح أمرنا.

شعرت چومانا بجسدها يعاود الارتعاش، حاولت إيقاف تلك الرعشة بكل السبل ولكن دون جدوى.

أكمل بروتان وهو غير منتبهٍ لوجه چومانا الذي تحول إلى الأبيض الثلجي:

- سأذهب أولًا ثم چومانا وبعدها ستتبعنا يا براحت.

تحركا كما أمرهما بروتان حتى وصل ثلاثتهم خلف الصخرة وأصبحت المسافة بينهم وبين الحراس لا تتعدى ثلاثة أمتار.

أشار بروتان إليهم أن يصمتا ثم قال هامسًا: سنلتف خلف الصخرة.

داروا حول الصخرة على أطراف أصابعهم وهم شاهرون خناجرهم التي أعدها لهم فابكيراع باليوم السابق. قفزوا من خلف الصخرة على الحراس الأربعة. طعن كل من براحت وچومانا أحد الحراس في رقبته أما بروتان فبيده اليسرى أغلق فم أحد الحراس وهو يطعن الآخر قبل أن يذبح الأخير.

فاجأهم صوتٌ يقول: ما هذا؟

كان هناك حارسان آخران جالسان بالقرب من جرس معلق. انطلق أحدهما مسرعًا نحو الجرس ولكن چومانا قطعت الخمسة أمتار التي تفصلهم عن الجرس بلمح البصر مانعة الحارس من أن يصل إليه ثم أصابته في رقبته بضربةٍ واحدةٍ متقنة ليقع أرضًا، في حين رمى بروتان سلاحه نحو الأخير فأصابه في صدره إصابةً قاتلة.

أمسك الحارس مقبض الخنجر وهو يترنح بجانب زميله وقبل أن يقع على الأرض كانت چومانا قد قطعت قصبته الهوائية ليقع صامتًا دون صوت.

قال بروتان وهو يتصبب عرقًا: انتظروا هنا وسأرى إن كان هناك من لاحظ وجودنا.

نظر من الحافة ولكنه لم يلحظ أي هرج في الأسفل فرجع قائلًا: لا شيء.

ثم أضاف وهو يتنهد رافعًا رأسه للأعلى: أيها الإله الأوحد. كان هذا وشيكًا. إن وصل أحدهم إلى الجرس لوجدنا أسرابًا منهم حولنا الآن.

أشارت چومانا إلى الجرس: لماذا يوجد جرس هنا؟

قال بروتان: صوت الجرس معناه وجود خطر وعلى القريبين منه تلبية النداء.

قالت چومانا وهي تتخيل أفواج الحراس تحيط بهم: جيد أنهم لم يصلوا إليه.

أشار براحت إلى الجثث: يمكننا أن نرتدي ملابسهم ونمشي وسط الحراس حتى نصل إلى بيت سلعود.

قال بروتان بنبرة من يعرف عمله جيدًا: لا؛ إذا ارتديت ملابسهم فسيقل حذرك، وهذا خطر علينا. وأيضًا بماذا ستفسر الدماء على الملابس؟

سكت براحت ولم يجد ما يقوله، فقالت چومانا بصوت منخفض: بروتان على حق يا براحت.

قطع بروتان الحبل الموصل بقلب الجرس ومن ثم أكملوا سيرهم.

تحركوا بحذر لأقل من ساعة حتى أشار بروتان إلى الأسفل: بيت سلعود تحتنا مباشرة. الآن سننزل ببطء وننتظر فوق أول شرفة جانبية للبيت، وهذه الشرفة توصل إلى المطبخ على ما أتذكر.

سألت چومانا: من أين تعرف هذا؟

قال بروتان وهو يشير بيده إلى أسفل: لقد عملت هنا لفترة، كنت أقف حارسًا مثل هؤلاء بالأسفل.

سألت چومانا وكأن الجواب غير شافٍ:

- وكيف عرفت أن الشرفة تؤدي إلى المطبخ؟

قال بروتان: من الحديث مع الحراس الآخرين. وأحيانًا كان الطباخون يعطوننا ما يتبقى من طعام أهل سلعود.

نزل بروتان ببطء، تبعه براحت ثم چومانا حتى وصلوا فوق حاجز الشرفة والذي يخفيهم عن أعين الحراس بالأسفل.

قال لهم بروتان هامسًا بعد أن استقروا بمكانهم سننتظر هنا وسنهبط حين نتأكد أن الحراس لا يروننا.

ظلوا منتظرين لفترة تجاوزت الساعة بقليل ثم قال بروتان فجأة: الآن.

نظر براحت وچومانا إلى الأسفل فرأوا الحراس يتحركون إلى مكان ما وبروتان قد قفز بالفعل داخل الشرفة ودون تفكير قفزا خلفه كقطيع من الفهود.

ثبتوا في أماكنهم كالتماثيل حتى تأكدوا من أنه لم يشعر بهم أحد. بعد ثوانٍ من الجمود كالصخر المحيط بهم تسلل بروتان للغرفة المجاورة للشرفة.

رجع قائلًا وهو يشير إليهم ليتبعوه: إنه المطبخ بالفعل ولا يوجد به أحد.

دخل بروتان ثانية وتبعه چومانا وبراحت.

قالت چومانا وهي تستنشق الهواء: ما هذه الرائحة الجميلة؟

قال بروتان وهو يتوجه إلى الباب الآخر للمطبخ: إنه طعام ولا وقت لدينا.

نظر بروتان خارج باب المطبخ، كان المطبخ في ممر ملتوٍ بعرض مترين تقريبًا ويمتد إلى جهة اليمين حتى ينتهي بغرفة أخرى موجوده بنهاية الممر ولكنه لم يرَ نهايته من جهة اليسار.

أشار بروتان لچومانا وبراحت أن ينتظرا مكانهما ثم مشى ببطءٍ في الممر متجهًا إلى الغرفة الوحيدة الأخرى.

سمع صوتًا يصدر منها فاختلس بروتان النظر داخل تلك الغرفة وهو ممسك بخنجره ومسند ظهره للحائط.

كانت الغرفة خالية إلا من بعض الأدوات وبقايا تكسير الصخور على الأرض. كان بها بابٌ يؤدي إلى ممرٍ آخر فدخله بروتان وبنهايته وجد غرفةً صغيرةً أخرى يبدو أن العمال النائمين بها يعملون على نحتها حاليًا. تركهم بروتان وتحرك على أطراف أصابعه راجعًا إلى المطبخ.

قال بروتان لجومانا وبراحت بمجرد أن دخل المطبخ: توقفا عن الأكل.

ثم أضاف وهو يشير إلى خارج المطبخ: هناك بعض العمال الغارقون في النوم في الغرفة الأخرى. لا أظن أنهم سيستيقظون في أي وقتٍ قريب. يمكننا الآن التسلل داخل البيت وتذكرا أن تبقيا متنبهين لأي حركة وألا يصدر منكما أي صوت.

ترك براحت وچومانا الخبز المخلوط بالزبيب والفاكهة الجافة من أيديهما ثم تحركا خلف بروتان ببطء.

كانت الحوائط ناعمة مثل حوائط المشفى ولكنها ذات ألوان مبهجة وذات رائحة جيدة ليست مثل تلك الموجودة في بيوتهم أو حتى في المشفى.

انفتح الممر على غرفة أخرى فأشار إليهما بروتان بالتوقف قبل الوصول إليها. كانت هناك أصوات ضحكات تأتي من صحن المنزل من خلف تلك الغرفة. اختلس بروتان النظر بداخلها. كانت الغرفة بلا نوافذ وذات مخرجٍ واحدٍ يؤدي إلى سلالم والتي تؤدي بدورها إلى الدور الأرضي.

استرق بروتان السمع ثم اختلس نظرةً سريعةً من خلال الباب المطل على صحن البيت.

كان البيت مزدحمًا قليلًا. كان من الواضح أن هناك حفلة من تلك الحفلات التي لا تنتهي، والخدم يقفون بالهوايات حتى لا يشعر الضيوف بالحر.

رجع مسرعًا إلى الباقين وخطوط جبهته تدل على التفكير العميق قائلًا:

- الأفضل أن ننتظر حتى ينام الجميع فالبيت مليءٌ بالناس.

قالت چومانا والفضول يكاد يقتلها: هل يمكنني أن ألقي نظرة؟

قال بروتان: لا. سترينه بالليل، هناك كثير من الناس بالأسفل وإذا رآك أحد فسيكشف أمرنا.

قالت چومانا برجاء:

- نظرة واحدة فقط، وعد مني أنها نظرة واحدة ولن تطول.

قال بروتان مستسلمًا: حسنًا، نظرة سريعة ولا تجعلي أحدًا يراك.

أطالت چومانا النظر فسحبها بروتان من كتفها. ورجعوا جميعًا إلى المطبخ وبروتان يدفع چومانا أمامه كالمسحورة.

كان صحن البيت ضخمًا للغاية، لم يكن هناك جزء بلون الصخور بل كل شيء ملون والبيت مُزين بالأواني الفخارية والزهور واللوحات الجدارية.

كانت ألوان الحوائط مبهجة ويجلس النيروسيون على طاولات الطعام وحولهم كثير من الخدم.

كان كل شيء هنا صورة معكوسة لحفر الأوبجازيين الصماء القاتمة التي تخلو من أي جمال إلا خربشة الأطفال على حوائطها.

قال براحت حين وصلوا إلى المطبخ: كيف البيت من الداخل يا چومانا؟

حاولت چومانا أن تجد أوصافًا تليق بما رأته ولكنها فشلت. فقالت بعد وهلة وكأنها أفاقت من حلم: إنه... إنه ضخم.... وجميل.

قال بروتان: سنقضي الليلة في غرفة الخزين ونخرج ليلًا للبحث، ممنوع النوم حتى لا يعلوا صوتكما في أثناء النوم وممنوع الأكل حتى لا تضطرا لقضاء حاجتكما.

اختبأ كل من براحت وبروتان خلف أجولة الطعام، أما چومانا فاختبأت فوق إحدى خزن الطعام الخشبية.

مر الوقت كالسلحفاة وكل منهم يحاول أن يشغل نفسه بشيء ما، أما چومانا فكانت غارقةً في أحلام اليقظة والتي تمحورت كلها حول ما رأته في اللحظة التي اختلست فيها النظر لصحن البيت.

قال بروتان بصوت منخفض حينما رأى أن أضواء الطحالب انخفضت لأقصى درجاتها: چومانا، دون إصدار أي صوت، انزلي وتأكدي من عدم وجود أحد بالمطبخ أو بالغرف المجاورة.

قفزت چومانا كالقطة المتهيئة للصيد وتحركت لاستكشاف الغرف المجاورة والممر، ثم رجعت إلى بروتان وبراحت بعد قليل قائلة: لا يوجد أحد.

تحرك الثلاثة بصمتٍ في الممر الخالي حتى وصلوا إلى أعلى السلم المؤدي إلى صحن البيت.

أشار بروتان إليهم بالسكوت ثم أشار مرة أخرى بالرجوع إلى المطبخ.

قال بروتان وهو ينظر للاثنين في عيونهما: يوجد حارس في الأسفل.

ثم أضاف: هل لديكما أي مقترحات ولكن بسرعة؟

صمتوا قليلًا وكل منهم يعتصر ذهنه ثم قالت چومانا: عندي فكرة.

قال بروتان: أسمعينا إياها.

قصت عليهما چومانا خطتها وبعد أن انتهت قال بروتان:

- فكرة جيدة، نفذيها.

بدأت چومانا في التحرك فأمسك براحت بذراعها قائلًا: لو حدثت أي مفاجأت اهربي بسرعة.

ردت چومانا وهي تنظر إلى عينيه مباشرة: اطمئن، وثق بي.

توجهت چومانا إلى أحد الخزانات وأخذت منها ملابس مشابهة لملابس الخدم، ارتدتها مسرعة وخبأت سلاحها داخلها ثم أخذت أحد الصواني ووضعت عليه طبقين الفاكهة وكوبين آخرين وزجاجة من الشراب ثم توجهت إلى السلم ونزلت ببطءٍ متوجهة إلى الحارس مباشرة والذي فزع حين رآها.

قال الحارس بغلظة: ماذا تفعلين هنا يا امرأة؟

قالت چومانا بصوت خفيض به بعض الدلع:

-طلب مني سيدي أن أحضر له بعض الفاكهة والشراب.

قال الحارس: ولكنني لم أرَك تخرجين من هنا أو تنزلين من عندهم.

قالها وهو يشير برأسه خلفها فعرفت چومانا أن السلم الذي كان يشير إليه يؤدي إلى غرف النوم. فقالت وهي ترفع أحد حاجبيها مبتسمة:

-ولكنني رأيتك وعيناك مغلقتان.

ثم أشارت إلى الطعام الذي تحمله قائلةً:

-ولذلك أحضرت لك شيئًا قد يساعدك على البقاء مستيقظًا.... وفاتحًا عينيك.

قال ويده تصل إلى سلاحه: ولم أسمع صوتك أيضًا.

قالت جومانا وهي تضم شفتيها علامة الملل:

-لو أن لخطواتي صوت لاستبدلني سيدي.

قال لها بريبة: أين تريدين الذهاب؟

قالت وهي تعطيه أحد طبقي الفاكهة: سأرجع إلى سيدي.

ما إن امتدت يد الحارس إلى الطبق حتى كان نصل سكين جومانا قد اخترق رقبته، أمسك الحارس رقبته غير متوقع وغير مدرك لما حدث. قبل أن يقع كان بروتان وبراحت قد وصلا إليهما بينما الطاووس الذي يمشي بخيلاء قد وقف وهو ينظر إليهما بلا مبالاة. لم ترَ جومانا طاووسًا من قبل ولكن بما أنه يتحرك فإنه يمكن أكله.

قالت جومانا وهي تشير إلى السلم المقابل لسلم المطبخ وعقلها يتخيل هذا الطائر الجميل أمامها وهي تنهش من لحمه:

- هذا السلم يؤدي إلى غرف النوم تقريبًا.

قال بروتان وهو يحمل جثة الحارس: السلم الآخر يُفترض أن يؤدي إلى المكتب وغرفة اجتماعات سلعود ورجاله، لقد كانوا يؤكدون على أهمية التزام الصمت عندما كنا نقف بالقرب منهم. والآن اسبقوني وسأضع الجثة في المطبخ وأعود حالًا.

صعد براحت وجومانا إلى الدور العلوي كما أشار بروتان، وعند نهاية السلم وجدا أن المكان الذي يقفان فيه له بابان، أحدهما مفتوح ويؤدي إلى اليمين والآخر مغلق ويؤدي إلى اليسار.

أشارت جومانا إلى براحت أن يتوقف ثم دخلت بهدوء تستكشف الغرفة اليمنى والتي وجدت بها أبوابًا أخرى مفتوحة أيضًا وجميع الغرف تحتوي على

عدد كبير من المخطوطات والمجلدات.

رجعت چومانا بعد قليل لتجد أن بروتان قد وصل أيضًا فقالت بصوت منخفض وهي تشير إلى الباب جهة اليسار: أظن أن هذا هو.

حاولت تحريك مغلاق الباب الحديدي ولكنه أصدر صريرًا فتوقفت قائلة:

- انتظروا هنا.

ثم نزلت مسرعة ورجعت بعد قليل ومعها قارورة زيت صبت جزءًا منه على المغلاق وفتحته دون صوت يذكر.

كانت الغرفة كبيرةً بالنسبة إلى باقي الغرف وتحتوي على طاولة للكتابة وأخرى مائلة كما أن هناك بعض الكراسي الخشبية الوثيرة المرصعة بالذهب، وجزء من الحائط تم تحويله إلى خزانة مخطوطات.

كان الحائط الذي يفصل تلك الغرفة عن جارتها مصنوعًا من الزجاج. وقفت چومانا تتأمل ذلك الحائط الغريب الذي يبدو ظاهره من باطنه. أخذت تمسح بيديها على الزجاج ووجهها يكاد يلتصق به.

قالت وكأنها تحدث نفسها: ما هذا؟!!!

كانت ترى من الجهة الأخرى كثيرًا من الصناديق صغيرة ومتوسطة وكبيرة الحجم وجميعها مرصعة بالذهب.

قال بروتان: هذه غرفة سلعود الخاصة وهذا زجاج.

كانت الغرفة بها نافذة واحدة كبيرة تطل على حديقة واسعة.

كان الحديقة جيدة الإضاءة على الرغم من أنه وقت الليل وبها عربة صغيرة كلعبة للأطفال وأرجوحات على الشجر وبركة ماء صغيرة وعلى مسافةٍ ليست بعيدةً توجد بحيرة كبيرة.

أفاقت جومانا من أحلامها وتحركت إلى باب ذلك الحائط الزجاجي فوجدته مغلقًا، فتحته بهدوء ثم بدأ كل منهم في استكشاف مجموعة من الصناديق والتي احتوت معظمها على أوراق حسابات ومديونيات على آخرين حتى قال براحت: وجدت واحدًا.

كان الصندوق يحتوي على كثير من العملات الفضية وبعد قليل قالت جومانا: وهنا واحد آخر - والذي كان ممتلئًا بالعملات النحاسية -.

طرق آذانهم صوتٌ آتٍ من بهو البيت فأشار إليهم بروتان أن يتوقفوا وتحرك ببطء إلى المدخل وحاول أن يسترق السمع ليسمع من أين يصدر الصوت ولكنه لم يسمع شيئًا فرجع إليهم ليجد أن براحت وجد صندوقًا آخر من العملات الفضية.

حمل كل منهم صندوقًا وبدأوا في التحرك نحو المخرج ولكن قبل الوصول إلى مخرج غرفة سلعود الخاصة سمعوا صوتًا يقول:

- أنا متأكد أنني أغلقتها بالأمس.

وضع بروتان صندوق العملات على الأرض دون صوت وقبض على سلاحه بيمينه مستعدًا للقادم.

لم تمضِ ثوانٍ حتى دخل الشخص الأول فعالجه بروتان بضربة من سلاحه اخترقت صدره، وقبل أن يعي الآخر ما حدث كانت جومانا تتخطى القتيل الأول وتجذب الشخص الآخر إلى الداخل ليفصل براحت رأسه عن جسده.

ظل الثلاثة متجمدين مكانهم للحظات والدم يخرج كالنافورة من عنق الرجل الثاني قبل أن يسقط جثةً هامدةً. على الرغم من أنه استغرق القتال أقل من بضع ثوانٍ إلا أن ضربات قلوبهم واتساع عيونهم وكمية العرق التي

أفرزوها تشي بمستوى الأدرينالين في عروقهم.

انطلقوا عائدين إلى المطبخ ثم نظر بروتان إلى الطريق ليجد الحراس بالطريق الخارجي نائمين وهم مسندون ظهورهم للحوائط ومنهم من استلقى تمامًا على الأرض.

بدأت چومانا بالتسلق خارجةً من المطبخ وتبعها براحت.

أخذ بروتان يناولهما صناديق العملات واحدًا تلو الآخر ثم تسلق خارجًا هو أيضًا.

تحركوا مسرعين حتى عبروا منطقة الجرس والجثث الملقاة بها.

أمرهما بروتان ألا يتوقفا عن التحرك حتى يبتعدا عن هذا المكان.

كانت حركتهم بطيئة إلى حدٍّ بعيدٍ بسبب ثقل ما يحملونه. فالمسافة التي كانوا يقطعونها في ساعةٍ أصبحوا يقطعونها في ساعتين. ولكنهم لم يتوقفوا حتى قالت چومانا وصدرها يكاد ينفجر من قوة تنفسها والعرق النازل على جبينها يكاد يعميها: يجب أن نستريح قليلًا، لا أستطيع أن أكمل.

كان بروتان يلهث من الإرهاق ولكن على الرغم من ذلك قال: سيطلقون الجرس بمجرد رؤية أيّ من الجثث ويجب أن نكون قد قطعنا مسافة كبيرة قبل هذا

قالت جومانا بصوتٍ أقرب ما يكون إلى البكاء: أريد أن ألتقط أنفاسي.

قال بروتان وهو يشير بيده الخالية: أعطيني صندوقك وسأحمله عنك حتى تستريحي قليلًا ولكننا لن نتوقف.

أعطته صندوقها فأصبحت تشعر أنها أخف وزنًا ولكنّ قدميها ما زالتا تصرخان من الألم وتتوسلان لها أن تستريح قليلًا.

حاولت چومانا أن تطلب من بروتان أن يتوقفوا للحظات ولكنه رفض ثانيةً.

بعد فترةٍ أخرى قال براحت وهو ينزل على ركبتيه ويضع الصندوق أمامه:

- لم أعد أستطيع المشي، سأموت إن أكملت خطوة أخرى.

سقطت چومانا بجواره قائلة مستجدية بروتان:

- دعنا لنستريح للحظات وسنعوضها بعدها. أعدك.

كان بروتان يتمنى الراحة أيضًا مثلهما فقال وسط أنفاسه المتلاحقة:

- حسنًا سنستريح للحظات قليلة ثم نكمل.

لم تمضِ دقائق حتى وقف بروتان آمرًا براحت وچومانا أن يُكملا. كانت فترة الراحة قليلة ولكنها كافية ليستعيدوا جزءًا من طاقتهم.

لم تمضِ ساعتان حتى سمعوا صوت جرس من بعيدٍ تبعه صوت جرس آخر وآخر وهكذا قال بروتان عاقدًا حاجبيه:

- أظنهم اكتشفوا الجثث الآن.

شعرت چومانا بالقلق يجتاحها قائلةً: ماذا سنفعل الآن؟

قال: يوجد مكان أعرفه سنختبئ فيه لبضعة أيام ثم نكمل عائدين لملاقاة الباقين.

قالت چومانا: وماذا عن عملك؟

أغمض بروتان عينيه قائلًا وهو يبتسم: لقد أخبرتهم أنني سأتغيب لبضعة أيام وأيضًا من يخطط لقتل الملك لن يأبه أن يتم فصله من عمله.

*****

وقف خالد أمام غرفة الفنان عامر مغربي أحد أشهر الفنانين في مصر حاليًا قبل الحفلة الغنائية التي سيحييها اليوم. كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً وسيبدأ الحفل بعد أقل من ساعة. مع أنه لم يمر على وصوله مع المطرب المشهور أكثر من نصف ساعة إلا أنه جاء ما يقرب من عشرة أشخاص، معظمهم في مرحلة المراهقة أو تخطوها بالكاد، وكل منهم يمني نفسه أن يلتقط مع ذلك المطرب صورة أو حتى يسلم عليه.

كان خالد يتقاضى في اليوم الواحد هنا أكثر مما يتقاضاه أقرانه في شهر أو أكثر ولكنه مع ذلك لم يكن راضيًا، كان يحتقر نفسه، ويحتقر هؤلاء الذين يدفعون تلك المبالغ الطائلة ليشاهدوا هذا المغني. كان يحتقر تذللهم إليه ليدعهم يدخلوا ليسلموا على ذلك الذي يهتز كالفتيات على خشبة المسرح.

رجع خالد بذاكرته إلى چومانا وهي تحكي عن حلمها وعما تخطط لفعله لتغيير حياة الأوبجازيين. ابتسم عندما فكر أن أحد هؤلاء يمكن أن يصبح غداءً لجومانا أو تصطاده للملك والحاشية.

في أثناء انشغال خالد في تفكيره جاءت إحدى الفتيات ووقفت أمامه قائلةً بصوت يجمع بين الأمر والطلب والاستعلاء والنرجسية:

- ابتعد. سأقابل الفنان الآن.

نظر إليها خالد وهو يرى بعينيْ عقله الباطن دموع چومانا وهي تتركهم بعد أن طلبت منه أن يشاركهم في قتل الملك.

قالت الفتاة الواقفة أمامه ثانية: ألم تسمعني؟!!

أخرجه سؤالها للمرة الثانية من ذكرياته فقال:

- آسف جدًّا. الفنان لا يقابل أحدًا.

أخرجت بعد الأوراق النقدية من فئة المائتي جنيه ثم قالت وهي تمد يدها لخالد وتتحرك نحو باب الغرفة: لن أستغرق أكثر من بضع دقائق.

قال لها وهو يرد يدها بحزم ولكن بأدب: آسف جدا. لا يمكن.

كان يرى بعين عقله چومانا حينما غضبت وهجمت عليه عندما أكل لحم الضاب الذي اصطادته هي.

ظهر الضيق على وجه تلك الفتاة وهي ترجع الأموال لحقيبتها الصغيرة ولكنها لم تقل شيئًا آخر بل نظرت إلى خالد من قمة رأسه لأخمص قدميه ثم تركته وانصرفت.

بعد نصف ساعة تقريبًا عادت البنت ومعها رجلٌ كبير السن والذي مد يده ليبعد خالد عن الطريق قائلًا: ابتعد. . سنقابل أستاذ عامر.

أمسك خالد يده برفق قائلًا: آسف جدًّا. الفنان لا يقابل أحدًا.

نظر الرجل إلى يد خالد الممسكة بيده قائلًا بغضب:

- هل جننت، ألا تعرف مع من تتحدث؟

خالد: آسف ثانيةً، ولكن لدي أوامر مشددة ألا أسمح لأحد بمقابلة الفنان.

قال له الرجل: هذه الأوامر لا تنطبق عليّ، أنا اللواء شمس الدين البندري.

لم يعنِ الاسم شيئًا لخالد الذي قال: لا يمكنني السماح لأي أحد بمقابلة الفنان إلا إذا أخبرني الفنان نفسه بذلك.

احمرّ وجه الرجل، وبدا وكأن الدم سيخرج من مسام وجهه فانقض على خالد ليبعده عن الباب ولكن خالد أمسك يده ثم دفعه دفعةً بسيطةً بحيث لا يقع.

صرخت البنت قائلةً: كفاية يا "بابا" لا أريد مقابلته.

نظر إليه الرجل نظرة تحمل شر العالم كله: ستندم وستأتي لتقبيل قدمي.

كانت ضحكة چومانا يتردد صداها في عقل خالد وهو يقارن بينها وبين تلك الفتاة الواقفة أمامه.

قال خالد مكررًا ما قاله مرة ثانية: لا يمكنني السماح لأي أحد بمقابلة الفنان إلا إذا أخبرني الفنان نفسه بذلك.

انصرف الرجل وهو يهدد ويتوعد.

ظل خالد واقفًا مكانه وهو يتذكر حديث چومانا المتواصل مع فاطمة وضحكتها وذكرياتها وأحلامها واهتمامها بهموم الأوبجازيين، وكذلك حديثه مع الحكيم محتوب ونيرساري حتى قطع خروج المغني حبل أفكاره.

شد قامته وبدأ يتحرك أمام المغني حتى وصلا إلى خشبة المسرح.

ظل خالد واقفًا حتى يمنع صعود أي شخص إلى خشبة المسرح حتى انتهى الحفل.

ركب خالد سيارة الحراسة منطلقًا خلف سيارة المغني وبعد أن تأكدوا من وصوله إلى فيلته بأحد أفخم مناطق مدينة الشيخ زايد أوصلته سيارة الحراسة إلى منزله بقليوب.

وصل خالد إلى بيته ليجد فاطمة نائمةً في غرفتها، لم يشأْ أن يوقظها وترك الطعام الذي أحضره معه على طاولة السفرة، ثم جلس على الأريكة ليستريح.

استيقظت فاطمة الساعة السادسة صباحًا لتجد أخاها جالسًا على الأريكة، قالت حينما رأته ما زال مرتديًا بدلة العمل: هل هناك شيء يا خالد؟

قال لها بعينين متعبتين: لا شيء، فقط لا أستطيع النوم.

سألته فاطمة وهي تقترب لتجلس بجانبه:

- هل حدثت مشاكل في حفلة الأمس؟

قال بلا مبالاة: مثل باقي الحفلات.

كان قد مضى على رجوعهما أكثر من أربعين يومًا وخلالها عاد خالد إلى عمله في تأمين الحفلات والمناسبات وأيضًا عمله في تدريب الكاراتيه صباحًا.

قالت فاطمة وهي تضع يدها على كتفه:

- لماذا تبدو حزينًا بعد كل حفلة تحضرها، هل ضايقك المغني أو أحد المعجبين؟

قال باقتضاب: لا.

قالت له: احكِ لي يا خالد، ماذا يضايقك؟

نظر إليها خالد نظرةً مطولة ثم قال مفضفضًا عما يدور بخلده:

- أنا لا أعلم لماذا أعيش؛ أنا أستيقظ كل يوم أتمرن وآكل وأشرب وأعمل. وماذا بعد ذلك؟ لا شيء، لا شيء أعيش من أجله.

قالت فاطمة وقد فهمت ما يضايق أخاها:

- ستتزوج وتعيش حياةً سعيدةً مع من تحبها.

قال بنفس نبرة فقدان الرغبة في الحياة التي يتحدث بها:

- وبعدها ماذا؟ لا شيء. سأكون مثل الحمار في الساقية، أذهب وأعود من العمل وهكذا.

قالت فاطمة: يمكنك أن تبدأ عملًا خاصًّا بك، أقصد إنشاء شركة مثلًا.

قال خالد: لقد فكرت في ذلك ولكنني لا أشعر برغبة في أي شيء. الحقيقة

يا فاطمة أنا لا أشعر برغبة في الحياة أصلًا.

اقتربت منه فاطمة ثم جلست بجواره قائلة بصوت هادئٍ حنون: هل تفتقدها؟

لم تتكلم فاطمة عن هذا الموضوع منذ عودتهما بناءً على طلب أخيها الذي أقام الدنيا ولم يقعدها عندما ذكرت اسم چومانا بعد يومين من عودتهما.

قال خالد وهو يتنهد ويرمي رأسه للخلف: لا أستطيع التوقف عن التفكير فيهم كلهم. چومانا وبراحت ودكتور محتوب ونيرساري.

قالت ببطءٍ حذر: هل تود الرجوع؟

قال خالد وهو مغمض عينيه: أنا أفكر في ذلك كل دقيقة، أنا أشعر أني خذلتهم بطريقةٍ ما. لقد تخليت عن أصدقائي هنا عندما كانوا في أشد الحاجة إلي ولكنني فعلت ذلك لخوف أمي ولكن لا شيء يمنعني الآن وأنا لا أتحمل تأنيب الضمير مرة أخرى.

قالت بهدوء لتختبر ردة فعله: يمكننا أن نرجع معًا، إنهم يحتاجونك.

قال خالد قاطعًا عليها الطريق: إذا رجعت فسأرجع وحدي.

قالت فاطمة وابتسامة ماكرة تظهر على شفتيها: إذا رجعت أنت فلن أتركك وإذا حاولت فلن تصل إليهم فلن تعرف الطريق من دوني.

قال خالد: إنها ليست نزهة.

ابتسمت قائلة: أنت قلت إنها مغامرة.

ابتسم خالد ورمى رأسه إلى ظهر المقعد ولم يعلق.

*****

جاء اليوم السابق ليوم عيد الحصاد وقد بدأت التجهيزات للحفل السنوي وعمت الفرحة بعض بيوت الأوبجازيين في محاولة لنسيان واقعهم المزري الذي يعيشونه يوميًّا. أما چومانا والفريق فكانوا مشغولون بوضع آخر لمسات الخطة. كانوا يقفون في كهف التدريب الذي قضوا فيه الفترة السابقة كلها ومعهم كل من سيشاركهم في تنفيذ الخطة.

ألقى كل من بروتان وفابكيراع خطبة حماسية ألهبت مشاعر الموجودين ولكن چومانا رأتها مجرد كلمات لا تكفي لإزالة خوفهم أو خوفها.

مرت الأيام الأربعون الماضية ما بين تدريب وتجهيز للخطة وزيارة لمكان الاحتفال ثم تدريب وتدريب وكثير من التدريب.

انطلقت چومانا مع الفتيات للركن المخصص لهن بعد أن انتهى التدريب الأخير وأوى الجميع إلى مهاجعهم.

سمعت چومانا بعد قليل صوت أخيها براحت يناديها من الخارج فقامت متخطية النائمين، وما إن اقتربت ورأت علامات القلق البادية على وجهه حتى قالت: ما الأمر ؟

قال لها: أريد أن أتحدث معك قليلًا.

أخذته ليقفا بعيدًا عن الباقين ثم قالت وهي تنظر إلى عينيه:

- هل هناك خطبٌ ما؟

قال براحت وهو يمسح شعرها ويزيل الشعيرات النازلة على جبهتها:

- أنا خائف عليكِ يا چومانا ولا أريدك أن تشاركي غدًا.

نظرت چومانا إلى عينيه العسليتين الجميلتين لثوانٍ ثم قالت بحنان وهي مبتسمة: أنا أحبك أخي، وأحب خوفك عليّ. ولكن مشاركتي غدًا هي أمل حياتي،

ولا أظن أنه يمكنني التخلي عنه.

قال براحت:

- إذا كان ولا بد فيمكنك أن تكوني مع باقي الأوبجازيين الذين يسيرون الفوضى وليس وسط القتال.

ابتسمت مرة أخرى قائلة:

- لا يمكنني هذا أيضًا أخي. أنت أكثر من يعلم أنني عشت حياتي أحلم بهذا اليوم ولن أتخلى عن حلمي أبدًا.

سكت براحت وهو ينظر إلى الأرض منهزمًا ثم رفع رأسه قائلًا:

- على الأقل كوني قريبةً مني.

قالت: سنكون معًا حتى يجد أحدنا فرصة للوصول لدكتاس ويقتله.

قال: هذا يكفيني.

دخلا الكهف معًا وتركها تذهب إلى مكان الفتيات وهو يقول: أراكِ غدًا صباحًا.

نظرت إليه لبعض الوقت ثم انطلقت لتنام.

*****

جاء اليوم المنتظر وبدأ الحفل بأشعارٍ وأغانٍ تمجد الملك والحاشية مؤكدةً على بسالتهم وجهدهم في السهر على رعاية مصالح الشعب ثم تلتها بعض الفقرات الغنائية والاستعراضية ومن ثم بعض الألعاب بين فريقين أحدهما يرتدي الأخضر والآخر يرتدي الأسود وكلما فاز أحد الفريقين بشيءٍ ما صاح بعض الأوبجازيين وإذا فاز الفريق الآخر صاح البعض الآخر من الأوبجازيين. تبعتها فقرة قتال الأوبجاز كما يسميها النيروسيون وهي أكثر ما يتسلون به، إذ يتقاتل اثنان من الأوبجازيين حتى يقتل أحدهما الآخر. جائزة الفائز خمسة قطع ذهبية ويمكنه إعطاء جثة الخاسر لمن يشاء سواء أوبجازيين أو غولز.

كانت جومانا وبراحت وفابكيراع وفوايت وسيبلاك ومانريد وثلاثة آخرون ينتظرون في الممر الشمالي الغربي حتى يأتي دورهم كأحد الفرق العارضة في فقرات الحفل. أما الباقون فجلسوا وسط الأوبجازيين يشاهدون الحفل.

قبل أن يأتي دورهم بقليل وصل بروتان مرتديًا ملابس الاستعراض وعيناه لا ترتفعان عن الأرض بينما يرتدي الحكيم محتوب زيه التقليدي، كان بروتان يحمل صندوقين من العملات ومعهم عامل يحمل الصندوق الأخير.

وضع بروتان الصندوقين وأمر العامل ليضع الصندوق الأخير وينصرف.

قال محتوب بصوتٍ مرتفع قليلًا: ستكون فقرتكم بعد قليل.

أثار كلامه استغراب الحراس القريبين، فإنه من غير المعتاد أن يشارك أحد الحكماء في الحفل. ربما يحضرونه ولكنهم لم يروا أبدًا أحدًا منهم يشارك في التجهيزات لأنهم يعتبرونها مضيعةً للوقت ومنافية للوقار.

صرخ فيهم منظم الحفل ليتجهزوا قائلًا: أنتم الفقرة التالية.

قال الحكيم محتوب بصوت منخفض: سأنتظر هنا.

صرخ فيهم منظم الحفل مرةً أخرى وهو يشير إلى مجموعتهم التي انضم إليها بروتان: ادخلوا الآن.

وقفت المجموعة كاملةً في أرض الحفل في دائرةٍ وثلاثة منهم يحملون الصناديق، وخيم الصمت على الجميع إلا بعض همهمات وسط النيروسيين في انتظار أن تبدأ الفقرة.

نظرت چومانا إلى الملك، كان التاج من الذهب المرصع بالجواهر يرتفع وكأنه رأس ثانية فوق رأسه. كانت ألوان المجوهرات التي تزين التاج غير موجودة إلا في التاج ولم يرَ أحدٌ مثلها من قبل. ويقال إن ثمن الواحدة منها تعادل كل ما يمتلكه الأوبجازيون جميعًا.

شكلت المجموعة نصف دائرة مفتوحة حول مانريد الذي وقف ووجهه في اتجاه الملك ثم قال بصوت جهوري:

- بأوامر ملكنا الأعظم، حامي البلاد، ملك الأوبجاز والنيروس، مصدر الخير والرخاء، نبدأ بهدية الملك.

ومع آخر كلماته فُتحت الصناديق وبدأ الفريق يلقون بالعملات عاليًا لتسقط في ساحة العرض أقرب ما يمكنهم من السلم المؤدي إلى الملك.

وكما كان الاتفاق فقد تحرك الأوبجازيون المتعاونون معهم ليأخذوا من العملات الواقعة على الأرض ومع تحركهم تشجع باقي الأوبجازيين ليأخذوا من هبة الملك.

نظر الملك للأوبجازيين الذين يلتقطون العملات من على الأرض وعلى وجهه ابتسامة ثم قال لزوجته الجالسة بجانبه: هذه فكرةٌ جيدة.

أما قائد الحرس والواقف أعلى السلم المؤدي إلى كرسي الملك فقد اقتضب حاجباه من اقتراب الأوبجازيين لهذه الدرجة من الملك.

بدأ الأوبجازيون في دفع بعضهم البعض ليأخذ كل منهم أقصى ما يمكنه والملك يشاهدهم وابتسامته لا تفارق شفتيه.

كانت المسافة بين أقرب الأوبجازيين والسلم لا تتعدي خمسين قدمًا وقد بدأ بعض الحراس في التقدم لمنع الأوبجازيين من التقدم أكثر.

قالت چومانا لبروتان وهي تتحسس مقبض سلاحها المخفي تحت ملابسها بإتقان: متى؟

أخرج بروتان سلاحه وقال بصوت هادر كالفيضان:

- الآن.

أخرج جميع المقاتلين أسلحتهم وهجموا كقطيع من الذئاب على الحراس الواقفين أسفل سلم الملك.

كانت المفاجأة قويةً وقاتلةً حتى إنها شلت تفكير الحراس مما جعل كفة المعركة تميل بسرعةٍ ناحيتهم. فمع أولى لحظات الهجوم وفي أقل من ربع دقيقة كان أكثر من سبعة من الحراس قد قُتلوا وبدأ الباقون في التراجع والاكتظاظ أمام السلم. بدأ بعضهم في الوقوع فوق الآخرين وبعضهم بدأ في الصعود على السلم، وفي تلك الأثناء انضم الحكيم محتوب للقتال.

صرخ قائد الحرس على الحراس الواقفين داخل الممر الشمال الغربي:

- اهجموا عليهم.

انفصل مانريد وسيبلاك وفوايت وبعض المقاتلين من الأوبجازيين عن الباقين ليقاتلوا الحراس القادمين من الممر ليعطوا چومانا وبراحت والحكيم

محتوب وبروتان وفابكيراع وبعض الأوبجازيين الآخرين فرصة الوصول إلى الملك.

صرخ قائد الحرس مرة ثانية على الحراس في الممر الشمالي الشرقي، والذين بدأوا في تطويق الأوبجازيين لتبدأ أسوأ مذابح شهدها الجيل الحالي من الأوبجازيين.

استطاع قليل منهم الإفلات من الحراس، أما الغالبية ممن جاءوا ليلتقطوا الأموال الملقاة على الأرض فقليل منهم من بقي رأسه متصلًا بجسده.

استمر القتال لأكثر من ربع ساعة وخلالها كان الإجهاد قد بلغ منهم مبلغًا شديدًا مع تدفق الحراس. حتى إنه عند قتل أحد الحراس يظهر مكانه أربعة وكأنهم ينبثقون من تحت الأرض. ولم يبدو أن هناك أملًا في الوصول للملك.

بعد أن مالت كفة القتال للأوبجازيين مع وقع المفاجأة، أصبحت الآن تميل للعكس حتى إن بعض الحراس استطاعوا محاصرة فابكيراع وچومانا وبراحت، وهنا صرخ الملك: لا تقتلوهم، أريدهم أحياء.

أعطت أوامر الملك فرصة للباقين أن يقاتلوا لفترة أخرى حتى قال الحكيم محتوب بصوت عالٍ: إلى الممر الشمالي الغربي.

تبع الجميع أو من استطاع منهم الحكيم محتوب، وقد استطاعوا أن يخترقوا صفوف الحراس الباقين داخل هذا الممر. وبمجرد أن عبروهم حتى أتى الحراس مدد من ساحة العرض فقال بروتان:

- اجروا، سأعطلهم وألحق بكم.

قال سيبلاك: سأبقى معك.

لم يجادله بروتان وحمل الاثنان حملة رجلٍ واحدٍ على الحراس مع هروب

الباقين ثم قال سيبلاك فجأة: الآن، اجرِ بسرعة.

جرى الاثنان مدفوعين بحب الحياة حتى استطاعا الهروب من الحراس الذين تبعوهم لمسافة كبيرة ثم توقفوا راجعين إلى مكان الحفل بعد أن اختفت الطريدة عن عيونهم.

ظلوا يجرون لساعاتٍ حتى وصلوا إلى الكهف، كان بروتان وسيبلاك آخر الواصلين إلى الكهف مع اثنين آخرين من الأوبجازيين سقطوا أثناء جريهما فاضطر بروتان وسيبلاك إلى مساعدتهما.

ما إن دخل بروتان الكهف حتى لاحظ أن الكهف خالٍ تمامًا إلا من بعض الجالسين هنا وهناك. رمى كل من الأربعة المتأخرين بنفسه عند أقرب مكان وهما يحاولون التقاط أنفاسهم. أخذ بروتان ينظر حوله منتظرًا أن يظهر أحد آخر عند مدخل الكهف في أي لحظة.

بعد فترةٍ من السكون إلا من صوت الأنفاس المتقطعة والآهات المكتومة جاءهم صوت الحكيم محتوب قائلًا بصوت يختفي البكاء خلف أسواره: يبدو أنه لم ينجُ أحدٌ آخر.

قام بروتان من مكانه بصعوبةٍ فرأى محتوب محاطًا بمانريد وفوايت، فحاول أن يسأل عن الباقين ولكن خوفه من الإجابة التي يشعر بها منعته فنظر حوله يمنة ويسرة وهو يحاول أن يجد باقي الفريق.

بعد قليل استجمع شجاعته قائلًا: أين الباقون؟

نظر إليه محتوب دون أن يجيب فقال أحد الأوبجازيين الناجين:

- لقد رأيت الحراس يحيطون ببراحت وأخته وفابكيراع.

قال بروتان ببطءٍ عندما لم يجد صديقيه المقربين: وأين بارتان ولاخنوع؟

قال الرجل: آسف بروتان، لقد رأيتهما يسقطان.

ابتلع بروتان ريقه وهو ينظر إلى الناجين عسى أن يكذِّب أحدهم الرجل أو أن يكون لديه أخبار أخرى أقل قتامة، ولكن لم يتحدث أحد.

لم يكمل عدد الموجودين عشرة أفراد متضمنين الفريق والباقي إما هرب وانضم إلى الأوبجازيين العاديين أو قُتل أو تم أسره وهذا أبشع مصير يمكن أن يحدث لأحد.

قال فوايت بعد مدة وهو يستجمع شتات نفسه:

- الكهف ليس مكانًا آمنًا الآن، لأنه إن تم القبض على أحد فسيبلغ عنه حتمًا. الأفضل أن ننتقل إلى مكان آخر.

قال بروتان وهو يجاهد ليخرج نفسه من صدمة فقْد صديقيه:

- أعرف مكانًا آخر لن يخطر على بال أحد أننا هناك. اجمعوا ما تستطيعون حمله من أغراضكم واتركوا الباقي ودعونا ننطلق الآن.

قام الجميع وهم يحملون أنفسهم ويجمعون ما يستطيعون حمله من متاعهم وانطلقوا خلف بروتان الذي انسابت دموعه الصامتة إلى منفاهم الجديد.

*****

سمعت فاطمة صوت باب الشقة يُفتح مع صوت خرخشة أكياس بلاستيكية، وأخوها يلقي السلام ثم صوت أريكة الصالة عندما يرمي خالد جسده عليها كعادته كلما عاد من الخارج.

مسحت يديها بمنشفةٍ صغيرةٍ ثم خرجت من المطبخ ولما رأت كمية الحقائب البلاستيكية قالت: ما كل هذا؟

قال أخوها وهي مغمض العينين: أشياء سأحتاجها.

قالت وهي تنظر داخل الحقائب: لماذا سنحتاج كل هذه الشيكولاتة؟

قال خالد وهو ينظر إليها: لقد اتخذت قراري يا فاطمة وسأعود إلى هناك.

تهلل وجه فاطمة قائلةً:

- هذا رائع، لكنني أريد ان أشتري بعض الأغراض قبل أن نذهب.

قالتها وهي تضغط قليلا على (حرف النون) في كلمة (نذهب) لتتأكد أنها لن تتركه يذهب بمفرده.

قال خالد: وماذا عن مذاكرتك؟

قالت فاطمة: كلية التجارة لا تحتاج مذاكرة كثيرة. أنا درست العام الماضي ولم أدخل الامتحانات وأيضًا الحضور ليس إجباريًّا.

قال خالد: حسنًا، سأبلغ خالي "سالم" أنني سأسافر في جولةٍ مع فرقةٍ موسيقيةٍ في أوروبا لمدة شهر وسآخذك معي لتتفسحي قليلًا.

قالت فاطمة: وكيف ستبرر أننا لن نتصل بهم؟

قال خالد: سأقول إننا سنكون دائمي التحرك وسيكون من الصعب الحصول على خط تليفون لأننا سياحة ولسنا مستقرين في بلدٍ واحد.

قال فاطمة: هل سيصدقونك؟

قال: لم يسافر خالك خارج حدود القاهرة إلا للذهاب إلى البلد أو إلى جمصة. أظنهم سيصدقونني بكل سهولة.

قالت: وإذا تأخرنا عن شهر؟

قال خالد وهو شارد الذهن: الحقيقة، لا أعلم إن كنا سنعود أم لا. ولا أعلم إن كان قرار رجوعنا إليهم صائبًا أم خطأ. كل ما أعرفه أنني أريد أن أساعدهم بشيء.

قالت فاطمة وهي تتحرك: الطعام في المطبخ، سأغير ملابسي وأنزل.

دخلت فاطمة غرفتها وبعد أكثر من نصف ساعة خرجت وقد غيرت ملابسها بملابس الخروج.

قال خالد: أين ستذهبين؟

قالت فاطمة وهي تفتح باب الشقة وعقلها يصنع قائمة بما يمكن أن تشتريه لصديقتها: سأشتري أشياء لجومانا.

بعد عدة ساعات رجعت فاطمة وهي تحمل كثيرًا من حقائب التسوق فقال لها خالد وهو يسترق النظر داخل الحقائب: ما هذا؟

كانت حقائب التسوق تحتوي على حقائب جلدية وفساتين وأحذية وطقم مكياج وعطور وأشياء أخرى.

قالت فاطمة وهي تأخذ حقائب التسوق من يده: أشياء لا تخصك.

قال خالد مبتسمًا: لمن هذه الأشياء؟

قالت: لا يخصك أيضًا.

قال وابتسامته تتسع وهو يمسك حذاء بكعبٍ عالٍ:

- هل تظني أن جومانا ستستخدم هذه الأشياء؟

قالت وهي تأخذ حقائب التسوق بعيدًا عنه: قلت هذا لا يخصك.

قال خالد: تذكري أنه سيكون معك حقيبةٌ واحدةٌ يمكنك ملؤها كما تشائين ولكنك ستحملينها طوال الرحلة.

قطبت حاجبيها قائلة: ما حجم الشنطة؟

أخرج خالد إحدى الحقائب المحمولة على الظهر الذي اشتراها صباح اليوم وقال: هذه.

قالت فاطمة وهي تمسك الشنطة بأصابع السبابة والإبهام: هذه فقط!!!!، إنها لن تتسع حتى لأغراضي.

قال خالد: هذا أقصى ما يمكنك أخذه.

أخذت الشنطة وقالت وهي تدخل غرفتها: سأتصرف، هل اتصلت بخالي؟

قال: نعم وهو يريدك أن تتصلي به.

توقفت قبل باب غرفتها وهي تفكر ثم قالت: سأصلي وأتصل به.

فتح خالد حقيبته وهو يقول وأنا سأرتب حقيبتي وسنتحرك غدًا صباحًا.

ارتفع حاجبا فاطمة وقالت: بهذه السرعة؟!

قال خالد وهو يضع بعض الملابس البيضاء في الحقيبة: لا داعي للتأخير فلقد ألغيت كل تعاقداتي بالفعل.

أخذت تفكر للحظات ثم قالت:

- حسنًا، سأتصل بخالي وأرتب الحقيبة.

ثم أضافت وهي تشير إلى طاولة الطعام: بالمناسبة، لماذا هذه الأشياء؟

كان على الطاولة حذاءٌ جديدٌ من النوع المستخدم في الجيش ومجموعة خناجر وحبال وأدوات أخرى بالإضافة إلى صندوقين صغيرين وأشياء أخرى من الصيدلية.

قال خالد وهو ينظر إلى الأغراض سارحًا بخياله: ربما نحتاجهم.

قالت فاطمة: هل ستأخذ مسدسك؟

قال خالد: إنه ليس سلاحًا حقيقيًّا، إنه فقط من أجل الاستعرض وحتى لا يفكر أحد في العبث مع العميل.

مطت فاطمة شفتيها وأمسكت الهاتف لتتصل بخالها تاركةً "خالد" ليكمل وضع الأغراض في حقيبته.

*****

صرخت چومانا بعد أن ضربها أحد الجنود على ظهرها؛ لتقف معتدلة أمام الملك، الذي ضرب وجهها مرةً أخرى بظهر يده التي تحمل خاتمًا كبير الحجم بإصبعه الخنصر. كان الدم يسيل من فمها وأنفها، وتحولت عينها اليسرى إلى اللون البنفسجي.

كان الملك أصلع الرأس من المنتصف، قصيرًا وقبيحًا وذا جبهة عريضة. غير ما تخيلته سابقًا وغير ما تكرره وتمليه على آذانهم دائمًا وزارة الاعتقاد.

كانت تقف بين حارسين يمسكان بها ويدها موثقة خلف ظهرها، وقدماها موثقتان ببعضهما البعض.

كان حال براحت وفابكيراع لا يقل سوءًا عن حالها والدماء تنساب من أنوفهما وأفواههما ناهيك عن الجروح الناتجة عن القتال وقد تحولت وجوههم إلى كتلة من العظم واللحم لا يُرى ملامحها.

قال الملك دكتاس بصوتٍ هادر:

- هل تظنون أن حثالة أمثالكم تستطيع الوصول إلى الملك؟

قالت چومانا والألم يعتصر كل جزءٍ من جسدها:

- وصلنا إليك ولولا الحرس لقطعتك بسيفي.

شد الملك شعرها بقسوةٍ واقترب منها حتى شعرت بأنفاسه وهو يقول:

- أنتِ حشرة.

قالت چومانا بعنادٍ والألم في شعرها يكاد يقتلها:

- حشرة كنت تموت من الرعب بسببها عندما اقتربت منك.

كان لون الملك يزداد احمرارًا كلما ردت عليه چومانا، بينما كان براحت يراقب ويتمنى أن تتوقف أخته عن إغاظة الملك حتى لا يؤذيها أكثر. نظر الملك

ناحيته ثم ضربه في بطنه بعصا أخذها من أحد الحراس وهو يقول:

- من صاحب الفكرة؟

انحنى براحت بشدة من أثر الضربة ثم قال وهو يقف ثانية: أنا.

تدخلت چومانا قائلة: أنا صاحبة الفكرة وصاحبة الخطة كلها أيضا.

قال الملك: من معكم أيضًا؟

قالت وهي تشير برأسها حولها: لقد قتلتهم جميعًا.

قال الملك: سنعرف من معكم، أما أنتم فسأجعلكم عبرةً لكل الحشرات الأوبجازيين.

بصقت چومانا الدم في وجهه فنظر إليها وعيناه تتسعان ثم تحولت ملامحه إلى ابتسامة ألقت الرعب في أعماقها قائلًا:

- اذهبوا بهم إلى سجن الثعبان وعالجوهم ثم تعاملوا معهم.... لا أريدهم أن يموتوا. عالجوهم كلما اشتكوا ثم تعاملوا معهم وهكذا حتى يتمنوا الموت كل لحظة ولا يجدونه.

انطلق الحراس بكل من براحت وچومانا وفابكيراع كما أمرهم الملك وقالت چومانا وهم يفكون قيد قدميها لتستطيع المشي: سأعود لك يا دكتاس وعندها لن تفلت مني.

تم بحمد اللّه

*****

تعريف بالمؤلف

مهندس وزوج ورب أسرة، وأكافح لأكتب.

أعشق الخيال وكتابة الروايات وأراها سبيلًا لتغيير الواقع.

أحافظ على الأخلاق وكتاباتي كلها تناسب الأسرة العربية.

الروايات الأخرى – تحت الطباعة:

- رواية (١٠ ٪)
- رواية (عندما يغير الحب الرجل).
- رواية (النازيون الجدد).

*****